خراف تأكل الذئاب

رواية

اسم الكتاب: خراف تأكل الذئاب
اسم المؤلف: محمود زيدان حافظ
التصنيف: رواية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 106
سنة الإصدار: 2025
رقم الإيداع: 4296 / 2025
الترقيم الدولي: 978 - 977 – 971 – 152 – 3
تدقيق لغوي: شيماء محمد
تصميم غلاف: غادة علام
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

خراف تأكل الذئاب

رواية

محمود زيدان حافظ

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

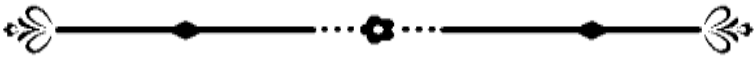

إهداء

إلى صديقي يوسف محمد (جو القط)

أشكرك يا صديقي على أنك بعثت بداخلي روحًا جديدة قادرة على الاستمرار، بل وعلى المُضي قُدمًا.

محمود زيدان حافظ

****

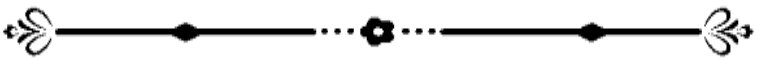

بسم اللّه الرحمن الرحيم

"ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(١)" القلم

صدق اللّه العظيم

"اللهم اجعلها لنا لا علينا"

رواية

خراف تأكل الذئاب

تأليف

محمود زيدان حافظ

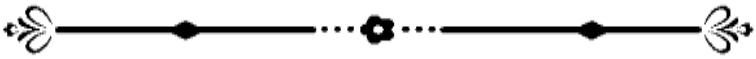

لمن سيحمل ذلك،

هذه أمانة بين يديك، فلا تهملها.

رجاءً، فكِّر فيما جاء فيها،

فقط، فكِّر وابحث...

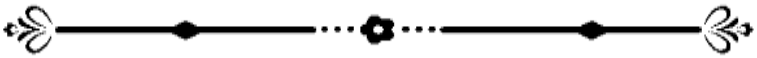

مقدمة

هموم وأثقالٌ تتكدَّس فوق رأسي، أكاد من فرْط الثِقل أفقد عقلي؛ فما عاد يُجدي قولي، وكالسياط يجلدني صمتي.

التوقيع
أنا

منذ أمدٍ بعيد وأنا ههنا، أواري حديثي وأخفي كلماتي، فليست هناك بارقة أمل، فإن قلت، فهل هناك من يسمع؟ وإن سمعوا، فهل هناك من سيفكر فيما قيل؟

التوقيع
أنا

عهد
سأقول، سمعوا أو لم يسمعوا سأقول؛ ما عاد يُجدي القول والسامعون أجساد خاوية، وإن كنا اليوم أمواتًا، فغدًا سينبت من أجسادنا سامعون ومدركون، الويل لنا نحن الصامتون العاجزون.

التوقيع
نحن

قاعة محكمة والمتهم شاب في مقتبل العمر داخل القفص، القاضي ينطق بالحكم والشاب ينهار، تُرفع الجلسة ليقترب من القفص شاب يقارب عمر المتهم وكذلك فتاة اغرورقت عيناها بالدمع، ينهض الشاب ليمسك بالقضبان الحديدية وينظر لهما، ثم يستدير ليترك القفص ويغادر في تثاقل.

تُفتح بوابة السجن وتمر منها سيارة نقل الوارد الجديد، تقف ويُفتح بابها لينزل المساجين للساحة، وكلما نزل أحدهم يتلقاه السجَّانون بذلك السير الجلدي -أقرب ما يكون للسوط- فينهالون عليه ضربًا مبرحًا وسط صراخه وضحكاتهم، وظلوا هكذا حتى فرغت السيارة من حمولتها، فيضحك أحد السجانين مرحِّبًا بهم في منزلهم المتواضع متمنيًا أن تكون حفلة الاستقبال تليق بهم، وجميع الواردين في حالة صمت. يقف المنادي لينادي بعض الأسماء، ومنها ذلك الشاب فيصحبهم أحدهم للداخل ويسلمهم لفرد داخل زنزانة مكتظة بالمسجونين مشدِّدًا عليه أن يهتم لأمرهم كثيرًا.

تبدأ منذ تلك اللحظة معاناة أخرى أشد وطأة على النفس مما لاقوه بالخارج؛ فذلك يتحرش بهم قولًا، وهذا يسلبهم أموالهم ومتاعهم، وذلك يأمرهم بتنظيف الزنزانة وخاصة دورة المياه، ويظلون هكذا حتى يسدل الليل ستاره لتبدأ نوبة جديدة من المهانة والإذلال، فمنهم من أصبح خادمًا أسياد الزنزانة، وهذا الشاب حين سئل عن اسمه وأخبرهم بأن اسمه زكريا نهره أحدهم وأطلق عليه اسم سوسن، فقام الآخر ليربط وسط زكريا

بقطعة قماش ليرقص لهم بمسمَّاه الجديد. ثم يُفتح الباب ليدخل وارد جديد جاء مغتربًا من سجن آخر، فيتركوا زكريا ويقتربوا من الوارد الجديد ليفعلوا معه ما فعلوه بسابقه، ولكنه يتصدى لهم واحدًا تلو الآخر حتى يخضع الجميع لسطوته، فذلك المغترب تم إبعاده عن السجن الآخر لشدة عنفه.

يقترب من الشاب وينزع ما حول وسطه ويصطحبه معه لأحد أركان الزنزانة ليبدأ بينهما التعارف، فيعود زكريا لاسمه، فلا أحد منذ تلك اللحظة يجرؤ على أن يتعرض له بقول أو فعل بخلاف السجَّانين الذين اعتادوا كل صباح أن يصحبوه معهم إلى العروسة كما يطلقون على ذلك الجذع الباقي من شجرة ليربطوه حوله وينهالوا عليه ضربًا مهينًا أكثر منه مؤلمًا، ثم يعيدوه قرب المساء لزنزانته ليستلمه زميله محمود ليضمد له جراحه الجسدية وتبقى جراح نفسه تنز قيحًا.

ورغم أن لزكريا عائلة كبيرة إلا أنه رفض تمامًا جميع الزيارات التي أتته وكأنه يعاقب نفسه على أنه عرَّضهم لذلك الأمر، فكان يعتمد على زملائه في بعض الطعام والملابس، حتى طلب من بعضهم أن يحضروا له أوراقًا وأقلامًا؛ فقد قرر أن يعود للكتابة من جديد رغم أنها السبب في حبسه.

زكريا يقف وحيدًا وسط صحراء قاحلة وقت الظهيرة، والشمس كأنها فوق رأسه عمدًا، وجسده العاري إلا من خرقة بالية تكاد تستر عورته، أخذ يعدو منطلقًا تاركًا تلك التبة ليحاول الوصول إلى مكان به من يجيره، أخذ

التعب والإرهاق منه مأخذه. كادت حنجرته تتمزق من شدة العطش، فوقف لينظر حوله لاهثًا ليجد نفسه بجوار التبة التي تركها من قبل. من هول صدمته كاد يفقد توازنه، ولكنه تماسك وقرر أن يعيد الكرَّة من جديد، وبالفعل انطلق حتى شعر بأن عضلات قدمه ستنفجر فوقف ليجد التبة بجواره من جديد، ولكن بها ذلك الحجر الذي لم يرَه من قبل، فأمسك به ليجد عليه سهمًا يشير إلى اِتجاه محدد. وقف للحظات ينظر إلى الحجر واتجاهه مفكرًا فيما سيفعل، ولكنه قرر أخيرًا أن يجري عكس اتجاه السهم، وأخذ يصرخ مستنجدًا ويعلو صوت صراخه أكثر وأكثر حتى شعر بيد تمسكه من كتفه ليصحو فزِعًا ليجد محمود بجواره وبوابة الزنزانة يُفتح فيدخل منها رجلان يسحلانه للعروسة.

تنتهي نوبة التعذيب ويعود لزنزانته، فيتلقاه محمود ليعطيه قليلًا من الماء والطعام ثم يجلسان سويًا ليروي له ما كان يحلم به. أخذ محمود يلومه أنه لم يجرِ باتجاه السهم لعله ينجو، فيبتسم زكريا ليخبره بأن هذا ما يريدونه حقًا، أن يسير في الاتجاه المحدد له، ولكنه قرر السير عكس الاتجاه لأنه الصواب. هنا تكمن المعضلة؛ أنت أم هم؟ أفكارك ومبادئك أم إرادتهم؟ هل ستطلق لفكرك العنان ليجوب شرقًا وغربًا بلا قيود، أم ستفكر فقط فيما يريدون هم أن تفكر فيه؟ والأهم من كل ذلك أن تفكر جيدًا؛ هل الموت يُعاد ويتكرر، أم أنها ميتة واحدة؟ وقبل أن تجيب، انظر حولك لترَ بوضوح أني حين خفت سمحت لهم أن يحتلوا نفسي وجسدي، وحين أتيت أنت

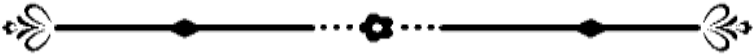

وواجهتهم بلا خوف أخضعت الجميع لسلطانك. فالجبن يجعل الموت متكررًا. أمَّا القوة، فهي تحميك. وإن مِت بسببها ستموت مرة واحدة شجاعًا أبيًّا مرفوع الرأس حتى وإن كان ذلك أمام ذاتك فقط؛ فما عاد للخوف مكانٌ بقلبي، إمَّا أن أحيا كريمًا أو أموت أبيًّا شجاعًا.

عاد الصباح من جديد، وعاد السجَّانان ليصحبا زكريا، ولكن في الطريق إلى محل تعذيبه يستوقفهم ضابط جاء منقولًا للسجن ليسألهم عن سبب اصطحابهم له، فيجيبونه بأنهم يطيعون الأوامر بلا نقاش، فينهرهم الضابط ويصحب زكريا إلى مكتبه فيكرم ضيافته ويخبره بأنه قارئ جيد لمقالاته بالصحف، ومنذ فترة وهو يبحث عنه. ليبتسم له زكريا بلا رد، فيسأله الضابط عن تهمته فيجيبه زكريا: الكلمة. أنا هنا حبيس الكلمة، ويتم تخييري بين كلمتي أم كلمتهم، أو أن يُكسر قلمي ويُقطع لساني وتُبتر أصابعي. يحزن الضابط لما يسمع، ولكنه يطلب من زكريا ألا يستجيب لهم.

فُتح باب المكتب فجأة ليدخل مأمور السجن وعيناه تكاد تنفجران غضبًا مما فعله الضابط، ويدخل خلفه السجَّانان لينتزِعا زكريا بعنف، يغلق المأمور الباب ويعود مثبتًا نظره في أعين الضابط، وقبل أن يتحدث ينطق لسان الضابط بالحق قائلًا: أتسجن الكلمة وللبغاء رخصة؟ يأمر المأمور بإحالة الضابط للتاديب ليعاقب على عدم إطاعة الأوامر العسكرية، فيضحك الضابط ساخرًا، فيتوعده المأمور ويترك المكتب غاضبًا.

أمسك زكريا القلم وأخذ يكتب: "يبدو أنهم يعلمون جيدًا حدود الموت، بل إنهم يدفعونك لتمنِّيه ولن تناله؛ فليس المراد قتلي نفسيًا ومعنويًا وكأنهم ذئاب يتلذذون بفريستهم قبل التهامها". يكاد قلمي يتبرأ مني، وأصبح فكري يخونني، فما عدت قادرًا على الكتابة، ولست بقادرٍ على التفكير، بل إنني أكاد أقسم بأنهم على مشارف الحصول على مبتغاهم مني، فهنا السجن ليس للشخص، بل السجن للفكر والكلمة. نعم، هنا السجن للمجرمين، وصمت أصحاب الفكر أصعب جرمًا ضد البشرية.

مرت الأيام وبقيت الحال على ما هي عليه؛ ذلٌّ ومهانةٌ، حتى جاء اليوم الذي جلس فيه زكريا يتصفح بعض الصحف ليجد نعي الحاج ناصر والده، فينهار باكيًا ويلوم نفسه لأنه لم يسمح له بالزيارة طوال تلك السنوات. حاول محمود أن يخفِّف عنه ما به، لكنه فشل، فتركه ليهدأ، ولكنه ظل مستيقظًا حتى تبيَّن له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

في ذلك الصباح، كان قد اتخذ قراره بالتخلي عن فكرته، سيترك للأبد كلمته؛ فأسرته الآن في أشد الاحتياج له بعد وفاة والده.

المأمور في مكتبه يشعل غليونه ويدخل عليه الضابط الصغير معترضًا على خروجه لمأمورية مقلب القمامة بسيارة القمامة؛ فهذا ليس عمله. يضحك السيد المأمور منه ساخرًا وينهض من مكتبه مقتربًا منه ليبث سمومه في أذنه.

المأمور: هنا لا مجال للجدال والمناقشة، إما أن تنفذ الأوامر، أو تخضع لكل ما يكسر نفسك، ولا تظن أن خروجك بسيارة
القمامة هو نهاية المطاف، بل هو فقط البداية.
الضابط: فقط حاولت أن أوضِّح ..
المأمور: لا، هنا تنفذ فقط. اسمعني جيدًا حضرة الضابط أحمد، أنت في مقتبل العمر، فلا تضيِّع مستقبلك بعنادك.
الضابط: يبدو أن كلامك هو الحق، ويبدو أنني على باطل، فأرجو أن تقبل اعتذاري.
المأمور: الاعتذار فعل وليس قولًا.
الضابط: وأنا جاهز لتنفيذ الأمر.
المأمور: أنت من ستقوم اليوم بإجراءات المسجون زكريا، وهناك سيعلِّمك السجَّانون بما يجب عليك فعله. اِذهب لغرفة
العروسة فهي في انتظارك.
ينصرف الضابط أحمد ويذهب للسجَّانين ليجد زكريا مكبَّل في جذع الشجرة، فيقف مذهولًا وهو يراهم يجلدونه ليتقدم نحو زكريا ويقف أمامه ليدور بينهما حوار بالأعين دون أن تنبس شفاههم ببنت كلمة، وكأن الضابط أحمد يتأسف لزكريا عما سيحدث؛ فالاختيار أصعب مما كان يتخيل. فإمَّا أن ينتهك عرضه، أو يسمح بانتهاك عرضه هو. فيبتسم زكريا وكأنه يعطيه الإذن بأن يفعل فيه ما يشاء، فيكفي أنه الوحيد الذي عامله

بآدمية. تلمع عين أحمد برقرقة دمع لا يغادر مقلتي عينيه، فيمسك بالسياط من الجلادين، وفي لحظة، قام أحمد بسحب سلاحه وتحريك عتلة الأمان لوضع الإطلاق وأطلق طلقة أصابت جبهة السجَّان الأول، حاول الثاني الفرار فعاجله بطلقة في مؤخرة رأسه وقام بإصابة كتف زكريا، ثم أدخل فوهة السلاح بفمه رغم حرارته العالية جدًا وعاجل نفسه بطلق ناري دخل من فمه وخرج من مؤخرة رأسه.

انقلب السجن رأسًا على عقب، وظل المأمور على رباطة جاشه، فلم تهتز شعرة من رأسه، ولكنه قام بإخراج الجثامين إلى الجبل القريب من السجن ثم أبلغ القيادات بأن هناك سجينًا حاول الفرار بمساعدة الضابط أحمد وآخرين، ولكنهم تصدوا لهم فأردوا السجانين مقتولين والضابط انتحر بسلاحه الميري، ثم قام بإغلاق ملف القضية على ذلك، ليقدم زكريا من جديد للمحاكمة على محاولة الهرب، وأثناء تداول الجلسات وسماع الشهود يحاول القاضي استنباط الحقيقة فيرسل فوارغ الطلقات للطب الشرعي وينتظر النتيجة.

مرت ليلة ثقيلة على زكريا في وداع صديقه محمود الذي أنهى مدته وسيغادر السجن في الصباح، كان وداعهما حارًا جدًا، وكان الوعد بينهما ألا تنقطع زيارته عنه، وهذا ما كان؛ فقد اجتهد محمود في العمل، وكلما جمع أموالًا ذهب للسجن لزيارة زملائه وخاصة زكريا.

ورد للمحكمة تقرير الطلبات والمثبت فيه أن جميع الوفيات بذات السلاح من ذات العيار وبذلك تكون رواية المتهم زكريا هي الصحيحة، وبناء على ما جاء بمستندات القضية حكمت المحكمة ببراءة المتهم، وعاد زكريا لمحبسه بعدما تلقَّى علاجه وأنهى قضيته. ثم التقى بمحمود في زيارة والذي طلب منه أن ينصاع لأوامرهم لعله ينال عفوًا عن باقي مدته، ولكن زكريا رفض ذلك؛ فدمُّ الضابط أحمد يستحق أن يحارب من أجله.

جاء يوم على السجن كان فيه الجميع في حالة اضطراب شديد، فقد أُعلن بالمذياع بيان بوفاة السيد رئيس الجمهورية. هناك من حزن وهناك من فرح، ثم استقرت الأمورسريعًا ليصدر القرار بالإفراج عن جميع المسجونين في قضايا الرأي، ليخرج زكريا من السجن، وأثناء إنهائه للإجراءات في قسم الشرطة واستلام أماناته خرج ليجد أمامه صديقه محمود ليصحبه معه إلى منزله كما اتفقا سابقًا، وكان أول ما اطمأن عليه زكريا أختاه وأمه، فطمأنه محمود أنهن بخير، وأخبره أنه اعتاد زيارتهن كل أسبوع ليطمئنهن عليه ويطمئن زكريا عليهن، وقبل وصولهما لمنزل محمود طلب زكريا أن يمر من أمام منزله لعله يرى إحداهن من بعيد فيطمئن قلبه، ثم عادا بعدها للمنزل، ليجد أن محمود قد اتفق على عمل لزكريا ككاتب في إحدى مكاتب الآلة الكاتبة، فيفرح زكريا لذلك ويبدأ فعليًا بالعمل من اليوم التالي لخروجه مباشرة، ويصبحان هو ومحمود زملاء عمل ورفقاء سكن، وكأن قدرهما قد حتَّم عليهما ألا يفترقا منذ التقيا.

جاء يوم الإجازة وذهب زكريا لتأدية واجب، بل إنه يشعر بأنه فرض عليه أن يعزي أسرة الضابط أحمد، فذهب إليهم وقدم العزاء ثم جلس ليروي لهم كم كان وحيدهم أحمد رجلًا بمعنى الكلمة، بل إنه كان إنسانًا أقرب للملاك، وشعر في نهاية لقائه معهم أنهم قد سعدوا لأن ابنهم لم ينحنِ ويتخلَّ عن مبادئه. ثم قام بوداعهم على وعد منه بأنه سيكرِّر زيارته لهم كثيرًا وترك لهم عنوانه وتليفون عمله في حالة إذا ما احتاجوا أي شيء.

مرت الأيام سريعًا وتحسن الوضع قليلًا مع الصديقين، ولكنهما ظلَّا على العهد مع رفقاء السجن. وجاءت الإجازة التالية ليذهبا معًا للسجن للزيارة، وقبل وصولهما لبوابة السجن وقف زكريا مشدوهًا، حاول محمود معرفة ما به، ولكنه وجد نظره معلق على تلك الواقفة عند بوابة السجن. أفاق من شروده وأمسك بكتف محمود وكلّفه بالذهاب إلى هذه السيدة ليعرف أخبارها وسبب حضورها، فنفذ محمود ما طلب منه. قامت السيدة بالرحيل وعاد محمود لصديقه ليخبره بأنها تبحث عنه منذ سنوات وتنتظر الزيارة الأسبوعية لعله في يوم يقبل بلقائها، وأضاف محمود بأنها تركت له رسالة بأنها لا زالت على العهد، فهي لم تخلع خاتمه من يدها حتى الآن ولا زالت في انتظاره، وإن انقضى العمر بأكمله ستظل على العهد. كاد يسقط مغشيًا عليه، فهذا كان آخر ما يمكن أن يتوقعه في حياته، أن تظل نيرمين ابنة الحسب والنسب في انتظار ذلك المسجون الصعلوك، أكملا زيارتهما وعادا لمنزلهما ليستعدا لبدء العمل.

انطلق رنين هاتف المكتب فقام محمود بالرد ليبلغ المتصل بأنه سيمر عليه اليوم ليأخذ منه الأوراق المطلوب كتابتها، فشكره المتصل وانتهت المكالمة، ليخبر محمود صديقه بأنه سيذهب للسيد/ عادل ليحضر بعض الأوراق لكتابتها له، فيطلب منه زكريا أن يحضر معه طعامًا للغداء.

في شرق الغابة، أحد الخراف يمر بجوار مسكن الذئاب منهك القوى، لا يقوى على السير فيستند إلى الإطار الخشبي الخارجي فينخلع من مكانه لتخرج الذئاب تعوي وكأنها تبكي، ويهجمون على المعتدي ليعتدوا عليه بشراسة ووحشية، فيخرجون أحشاءه ويتركونه ليولولوا مصابهم؛ فنرى أن هناك حشدًا قد اجتمع، فهذا يصور الإطار الخشبي، وذلك يجري حديثًا مطولًا عن بشاعة ما حدث، وأهل المسكن يتباكون، ومن كثرة التزاحم يجد أحد الذئاب أن الخروف قد يظهر في الصورة فيدفعه بقدمه ليواريه عن الكاميرات "تضاف أغنية" فسكت.

هنا يترك زكريا الكتابة ويتجه نحو محمود ليستفسر منه عن كاتب تلك الرواية، فيخبره بانه أ/ عادل، فيطلب منه زكريا أن يحاول ترتيب لقاء لهما معه، فيطمئنه بأنه سيحاول ذلك جاهدًا.

في منزل الكاتب عادل يجلس على مكتبه منهمكًا في الكتابة، لتدخل عليه سيدة غير أنيقة أو مهندمة في ملابس أقرب لمراسم التأبين ورابطة رأس كأنها خادمة، تقترب منه فيترك عادل قلمه ويبتلع ريقه غصبًا مستعيذًا

بالله من شر ما يلقى. إن المشاهد لما يحدث يشعر وكأنه يسمع في الخلفية الموسيقى الشهيرة لفيلم سمكة القرش، وقبل أن تقترب منه يدق الباب، فتقف وتستدير لتتجه هي ناحية الباب، في تلك اللحظة، تهوي رأسه على المكتب وكأنه سقط من بناية عالية، تنطق السيدة في تهكم على كلمة الاستاذ عادل ثم تأذن للضيف بالدخول إلى المكتب، ليجد عادل محمود أمامه فينطلق نحوه ليحتضنه، تتملك منه الدهشة للحظات، ثم يقدِّم له الأوراق التي انتهى من كتابتها، وفي خجل واضح يطلب منه أن يسمح لصديقه وزميله في العمل أن يلتقي به، فيُسر عادل لذلك ويضرب له موعدًا يوم الخميس في المقهى بوسط البلد، فيشكره على ذلك جدًا ويهم بالرحيل، لكن عادل يعرض أن يقدم له واجب الضيافة، لكنه يسمع صوتًا من الخارج يتمتم بما معناه "أن يضايف من يشاء في منزل والدته"، فيسلِّم عادل على محمود ويودعه سريعًا، وبمجرد أن أغلق الباب وجدها خلفه تشير له نحو شيء ما، فتجحظ عينه من هول ما رأى ويحاول الاعتراض، لكن فجأة اسودَّت الدنيا في عينه للحظات ثم أضاءت من جديد، فيذهب نحو ما تشير إليه ويمسك به، ثم ينحني أرضًا ليمسح الشقة، بينما تذهب هي نحو المسجل ليصدح بأغنية "والله يا زمن" فترفع صوتها لتوضح له بأنه سيظل لأسبوع كامل يقوم بعمل المنزل وحده ولن تساعده في العمل.

على مقهى شعبي من مقاهي وسط البلد يجلس كلٌّ من محمود وزكريا في انتظار الكاتب وأعينهما سارحة من حولهما بين جزار وعطار وتاجر لقطع

الغيار وبقال مع أصوات الباعة الجائلين. كان الشارع المصري في ذلك الزمن يغلي من وطأة الاستعمار وشدته وأصبح فاقدًا الثقة في قيادته السياسية، كما كان معظم الشعب في حالة من الفقر وجميع موارد الدولة تضخ للمجهود الحربي، فتنظر في وجوه الناس تشعر وكأنهم في حالة حزن عام.

يمر من أمام المقهى شحاذ وأثناء مروره يتغنَّى ببعض الكلمات:

يا لقمة عيش مرميّة .. وسط الطريق والناس معديّة

قبل ما ترموها نادوا عليَّا .. ويا ريت يبقى معاها واحدة تانية

يا ناس.. يا ناس ياللي معديَّة .. اِوعوا تدوسوني واللقمة الهنيَّة

لينادي التاجر على الشحاذ:

التاجر: ياللي بتشحت لقمة ناشفة وفاكر إنها باقية ومرميّة، واللي خلقني وخلقك بالحق لو شافوها لهتلاقي البلد عليها

موطيّة.

الشحاذ: بتسخر مني إكمني بأدوَّر على لقمة؟ أنا أحسن من ناس بقت تهوهو عشان عضمة.

يحضر عادل ويتجه نحوهما، فيقف زكريا ليجري نحوه عادل ويرتمي بين أحضانه باكيًا، ويقف محمود مذهولًا مما يحدث؛ فكيف عرف كلٌّ منهما الآخر؟ ليبادر عادل بالحديث مذكِّرًا زكريا بآخر لقاء بينهما داخل قاعة المحكمة حين اقترب هو ونيرمين خطيبته من القفص ولكنه تركهما وغادر

دون أن يتحدث إليهما، ومن حديثهما يكتشف محمود أنهما أقارب، فأم زكريا خالة عادل. يحاول عادل أن ينبش الماضي، ولكن زكريا يرفض أن يجاريه في حديثه، فيدير دفة الحديث حول ما جاء بفصول روايته، ويتساءل: لماذا قام باختيار الحيوانات كمصدر له؟ ولماذا يواري كلماته ولا يتكلم بوضوح؟ وكانت صدمته حين أخبره عادل بأنه أصبح يخاف من الكلمة بسبب ما حدث له، وأنه أصبح من أرباب السجون بسبب الكلمة، بل إنه أصبح يحيا في رعب مما حدث لأسرة بأكملها بسبب الكلمة. تدمع عين زكريا وكأن عقابه كان رسالة لكل أصحاب الأقلام ألا يكتبوا، ولأصحاب العقول ألا يفكروا وإلا سيلاقوا ذات مصيره، وكأنه هو المربوط الذي ضُرب ليخاف غيره من الضرب، وزاد حزنه حين تذكَّر والده وأمه وأختيه، فهو إلى الآن يخاف أن يوصمهم بالعار لكونه من أرباب السجون. ورغم أن عادل حاول كثيرًا أن يوضح له أن أمه تكاد تفقد عقلها من كثرة الحزن على ابنها الوحيد، إلا أن قلب زكريا كاد يفر من بين أضلعه من شدة الحزن، فطلب منه ألا يزيد في الحديث عن ذلك، وقام بسؤاله عن سبب اختياره للغابة والحيوانات رغم أن ما سرده واقعي جدًا ويحدث بين البشر، فلماذا لا يترك العنان لفكره وقلمه ليروي الحقيقة دون تزييف أو تجميل؟ فما كان من عادل سوى الصمت، ليتذكر ذلك المشهد الذي لا يفارق مخيِّلته حين وقف المحامي مترافعًا ليدحض كامل التهم عن موكله ويقدم بالمستندات والأدلة الدامغة ما يؤكد براءته مما نُسب إليه، ورغم ذلك جاء الحكم مخيبًا

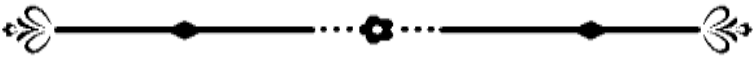

للآمال وسُجن زكريا وضاع مستقبله وتفككت أسرته، ورغم أن خطيبته باقية على العهد الذي بينهما إلا أنه منع نفسه عنها. ثم توجه بالسؤال لزكريا: أتريدني أن ألقى ذات مصيرك يومًا؟ وقبل أن يجيب زكريا قاطعهم صوت جهوري ينادي من أمام محل الجزارة:

الجزار: عنتر.

يقف شاب في مقتبل العمر هزيل الجسد مهترئ الملبس أمام المقهى، تظهر على بنطاله آثار ماء متدفق من شدة الرعب لسماع اسمه

الجزار: أين ثمن العظم؟

قالها بصوته الأجش فأدهش رواد المقهى والجميع يهمهم متسائلًا: أللعظم ثمن يُباع به؟!

يذهب الجزار نحو الشاب والأخير يحاول تفاديه مُستحلفًا إياه ويرجوه أن يمهله حتى يجد عملًا ويسد له ثمن العظم، ولكنه رفض وقام بنزع ملابسه عنه والمارين بالطريق بين مستنكر وضاحك، بين رافض وغير مبالٍ. همَّ محمود بأن يتدخل ليعيد للشاب ثيابه، ولكن أعوان الجزار يقطعون عليه الطريق باستخدام أسلحة الجزارة، فيمسكه زكريا حتى لا يندفع ويتهور فيفقد حياته مع مرور الشحاذ الذي يقف في وجه الجزار ليستدعي أحد أعوانه ويطلب منه أن يعطي الشحاذ بعض العظم.

الشحاذ: وما الثمن يا تاجر الكلاب، أتبيعني بعد ذلك لأسيادك؟

كاد الجزار أن يترك الشاب ويعتدي على الشحاذ لولا حضور السيد وخدّامه، ليقوم الجزار بإحضار حبل وطوق ليضعهما في رقبة الشاب ويجبره على الركوع على يديه ورجليه ويعطي الحبل للسيد، فيقوم بسحب عنتر خلفه وكأنه كلب حراسة.

ينفجر زكريا غاضبًا في وجه عادل أنه لا زال يواري كلماته رغم أن الواقع أصبح مرعبًا أكثر من الخيال، وأن تصرفات بني البشر لم تهزم فقط الحيوانات، بل إن الشيطان أصبح يتبرأ مما نفعل.

في طريق بإحدى أطراف المدينة يمر شابان من أمام قصر شاهق وصوت النباح يملأ الوجود من حول القصر ليقف الشابان يتأمَّلان روعة ذلك القصر، فينظر لصديقه قائلًا:

شاب**1**: لقد سمعت أن صاحب ذلك القصر يأكل ثلاثة كيلوات من اللحم.

شاب**2**: كل ذلك في شهر واحد؟!

شاب**1**: لا، بل في اليوم الواحد، فهو يطعم كلابه اللحم.

شاب**2**: ليتني كنت منهم.

في حديقة القصر عنتر وزملاؤه في جلسة القرفصاء ينبحون والدمع يسيل من أعينهم حزنًا على ما هم فيه، ويتساءلون فيما بينهم: أهكذا يُهان الإنسان؟ ثم يخلع عنتر عنه الطوق ويقف باكيًا لينظر لزملائه ثم يصيح فيهم بأنه حر ومتعلم، فقد تخرج في إحدى الكليات العلمية الراقية ويجيد التحدث بلغات عدة بخلاف العربية، وأن أبحاثه لو علمت بها بعض الدول

المتقدمة لقدموا له فروض الطاعة ليرضى أن يتعاون معهم؛ فما لديه من علم قد يغير وجه الكون ويسطِّر تاريخًا جديدًا في علوم الطاقة.

صوت من داخل القصر يأمر الحرس بإحضار الكلب عنتر، فيحاول عنتر الرجوع لوضعه والنباح، ولكن الحرس يقبضون عليه ليتم ربط قدميه على ذلك العمود الخشبي المسمى (الفلكة) وينهال عليه سيد القصر بالضرب بالخيزرانة حتى أُدميت قدماه، وكلما علا صوته بالصراخ علا صوت باقي الشباب بالنباح.

كان الشابان خارج القصر يريان ما حدث، حاول أحدهما الدفاع عن عنتر بدافع الشفقة، ولكن الآخر يمنعه حتى لا يلقى ذات مصيره. وقبل أن يغادر، يذهب شاب**1** لبوابة القصر متسائلًا عن كيفية التقدُّم لشغل وظيفة كلب، فيرجع للخلف شاب**2** ليلوم نفسه على أنه تمنى أن يكون منهم؛ فليس للكرامة ثمن، وليس هناك في الوجود أكرم من أن يكون الإنسان حرًا وليس عبدًا ذليلًا لأحد، فكان يحاول جاهدًا أن يثني زميله عن ذلك الفعل، ولكن دون جدوى؛ فقد حضر أحد الحراس وأخذ يتفحص الشاب ويكشف مواطن عورته وكذلك أسنانه وعموم جسده، ثم سمح لهم بأن يضموه لكلاب القصر، فيقترب أحدهم ليضع له الطوق في رقبته ثم يضع أمامه على الأرض قطعة لحم لينزل إليها الشاب ويلتقطها بأسنانه ويلتهمها، فيفر شاب**2** من مكانه.

******

"خطابي رقم **5110** لك وأعلم أن مصيره كمصير السابقين، لكنني لن أمَل من أن أكتب لك وإن كلفني ذلك أن أموت وينتهي عمري دون أن يصلك أي خطاب من خطاباتي. لا يوجد اليوم شيء محدد لك، فلم يتقدم أحد اليوم لخطبتي، ولم تصرخ أمي ككل يوم، ولكني ولأول مرة منذ الفراق أحضر مناسبة لصديقتي العزيزة ثريا، ورغم حالة البلاد وإننا على مشارف الحرب ولكنني وجدت شبابًا غير مبالين تمامًا بما يحدث؛ فهذا يشرب الخمر، وهذه تحتضن ذاك، وهذا يدفع مبلغًا طائلًا لإحداهن لترافقه لليلة، وقبل بدء الحفل وأثناء التجهيز له خرجت لشرفة فيلتها لأحتسي شاي العصاري كما عوَّدتَني، لأرى أمامي مشهدًا تُدمى له القلوب، فلقد رأيت شابًا في مقتبل العمر يلقون إليه اللحم على الأرض فيأخذ وضعية الكلب ويلتقط اللحم بفمه وحول رقبته طوق به حبل، ثم قاموا بربطه بجوار زملائه لينبح معهم.

تخيلتك إن كنت كاتبًا للآن، أخيالك يستطيع أن يصور لك هذا المشهد؟! أكاد أقسم أن أي خيال مهما تفوق لم ولن يصل ذلك نهائيًا؛ فالواقع أصبح أشد رعبًا من الخيال. ختاما أقول لك: إن كنت حيًّا فعد إليَّ، وإن لم تكن كذلك فانتظرني، سآتي إليك قريبًا. زكريا، سأظل للأبد في انتظارك، فلا تنسَنِي . المخلصة لك للأبد.. نيرمين.

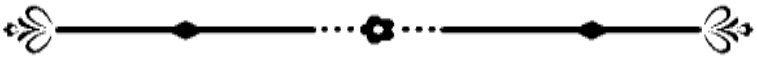

يالي من لوعة شوقي واشتياقي والحزن يدمي قلبي ويكسر فؤادي
ألا زلت تذكرني دومًا يا ملاكي وإني نيرمينتك الأبدية يا سِر سهادي
مع خالص حبي نيرمينتك"

جلست نيرمين تتأمل خطابها وتعطر جوانبه من قارورة عطرها بأطراف منديلها الحريري، ثم قامت بطيِّه بعناية لتضعه مع باقي خطاباتها السابقة، فعاجلتها دمعة ملتهبة فرَّت من عينها لتسيل وتقترب ببطء من شفتيها، وفي تلك اللحظة تدخل والدتها لترى حزن فلذة كبدها فتقترب منها بلا حديث وتجلس بجوارها ثم تضم رأسها بحنان ورفق لصدرها وتمسح بيدها شعر صغيرتها وظهرها، فتلقي نيرمين بكامل جسدها في صدر والدتها لتَخرج من بين أضلعها أنفاسٌ ملتهبة وتنفجر باكية والأم لا تجد كلمات مجدية في هذا الموقف، فتفضِّل الصمت حتى استقرت أنفاسها وهدأت فغلبها النعاس، فأنزلت رأسها إلى الوسادة وأغلقت النور وخرجت والدمع يجري كسيلٍ جارف على خديها حزنًا على ابنتها.

.....

يمر الشحاذ بين رواد المقهى والمترددين على السوق لينظر مباشرة في وجوههم ويشفق على حالهم، فيرفع يده الممسكة بجذع الشجرة مردداً

أجوب وأصول منذ الماضي السحيق، هذا يكرمني وهذا يهين

أين الأمل وأين من يتفكَّر؟ أوَلستم لنا يا قوم بسامعين؟

يقف زكريا ليقترب منه مقدمًا له الطعام فينظر إليه مبتسمًا ويعيده إليه لظنه أنه بحاجة إليه أكثر منه، ولكن زكريا يقسم عليه ألا يرد يده ويأكل من فضل الله فيقبله منه ويسير مبتعدًا مردداً

التاريخ بيعيد نفسه، وكلما مرَّت شدة جاءت أشد منها إن لم نتعلم الدرس.

كلمات ذلك الشحاذ فعلت بعادل مفعول السحر، وكأنه بدأ يرى العالم من حوله بشكل مختلف ومغاير. نعم هناك أثرياء حرب، وهناك ضحايا حرب، وكثير لا تعنيهم أصلًا، وقلة مهمومين بأمرها، فتساءل بينه وبين نفسه: لمَ الصمت ولمَ الخوف؟ فالموت محيط بنا، إذن لنخلِّص ضمائرنا قبل الموت. ثم همَّ أن يرحل، ولكنه نظر لزكريا طالبًا منه أن يزور والدته قبل موتها فيكفيه موت والده دون حضوره، فوعده بأن سيذهب لهم قريبًا. غادر عادل المقهى وذهب محمود وزكريا لمنزلهما.

يدخل عادل لمنزله ليجد أمامه زوجته فيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، لتبدأ هي في وصلة من الزعيق والتهديد والوعيد، وأخذت تذكِّره بأخيها، ذلك الشاب مفتول العضلات، وما سيفعله به إن علم بأنه أهان أخته، ليرد عليها عادل:

عادل: جليلة، من الذي أهانك؟ أوَ لم تأمرينني أن أقوم بكافة أعمال المنزل قبل مقابلة أصدقائي وفعلت؟ فلمَ تلومينني؟

جليلة: تتركني كثيرًا وحدي لا أجد من أفتعل معه المشاكل.

عادل: حقًا أعتذر عن ذلك؛ هأنذا، يمكنك الآن بدء الشجار.

مرَّت الأيام وزكريا قلبه منفطر للقاء أمه، فكم اشتاق لها ولأختيه! ورغم ذلك لا زال عقله يؤكد عليه بأن وجوده قد يكون وبالًا عليهن؛ فقد يتسبب في عدم زواجهن لكونه للآن من "أرباب السوابق" ويعمل في عمل لا يليق بعائلته، ولكن كلمات عادل إليه تدمي قلبه، وفي الأخير استجاب لقلبه وأنهى عمله وذهب مسرعًا للقاء حبيباته. كم كان ذلك اللقاء عاصفًا؛ فالأم كادت تفقد النطق من هول الصدمة، وأختاه تملكتهما حالة من البكاء الأقرب للنواح.

دقت الساعة الخامسة مساءً، الجميع في حالة صمت رهيب ينظرون للساعة، وزكريا لا يدري ما يحدث، لكن أخته الكبرى قطعت الصمت بأن قالت لهم:

الأخت الكبرى: إنه يوم الأحد، والساعة الآن الخامسة موعد حضور.. يقطع حديثها دخول نيرمين.

الجميع في لحظة ذهول، ونيرمين في حالة من الصمت بعينين دامعتين تنظر لهذا الذي يقف أمامها، يبدو كأنه زكريا، لقد ظهرت عليه علامات الشخوخة رغم كونه في عمر الرجولة! ثم فجأة تسقط مغشيًا عليها. ينصدم

الجميع ويهرولون هنا وهناك لإحضار زجاجات العطر لإفاقتها، ويسقط بجوارها زكريا ممسكًا بيدها وكأنه يطلب منها ألا تفارقه. لحظات عصيبة مرَّت قبل أن تسترد وعيها، تمد يدها بين يديه والخوف بادٍ في عينيه، ثم تغلق يدها برفق مبتسمة فيبتسم الجميع فرحين.

يدخل محمود إلى فيلا عائلة زكريا منبهرًا بما يرى، فيقف زكريا سريعًا ليعرِّفهم على صديقه فيحسنون ضيافته، ثم يختلي محمود بصديقه ليلومه على ما فعل بأسرته، ويلومه أكثر على أنه ترك نفسه وهو معه في هذه الحالة من ضيق العيش رغم يسره، بل رغم ثرائه الفاحش. يقطع حديثهما دخول الأم مستندة إلى ذراع نيرمين طالبة من ابنها أن يذهب ليأخذ حمامه ويغير ملابسه فغرفته كما تركها، وسيجد فيها ملابس مناسبة له؛ فاليوم سيقومون بزيارة أسرة نيرمين لإتمام ما تم الاتفاق عليه مسبقًا. حاول زكريا أن يتهرَّب من ذلك الموقف، إلا أن الجميع ألحَّ عليه عدا نيرمين التي ظلت صامتة، فشعر أمامها بالحرج وذهب لينفذ أمر والدته وقد أخذ معه صديقه لعله يجد بين الملابس ما يليق عليه، وهذا ما كان بالفعل، فتهندم الصديقان وتعطَّرا وأصبحا مستعدَيْن، وقامت الأم بتكليف الخدم بتوصيل نيرمين لمنزلها لتستعد لحضور زكريا وأهله.

وقبل خروج الأسرة يحضر عادل للاطمئنان عليهم ليجد زكريا ومحمود في أبهى حُلة، فيفرح فرحًا شديدًا لجمع شمْل الأسرة وعودة الغائب، وعلى الجانب الآخر في منزل نيرمين تقف الأم مصدومة تتنازعها الأفكار؛ أتفرح

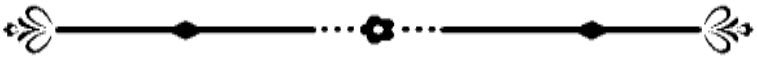

لفرح ابنتها، أم تحزن لأن زوج ابنتها المنتظر من أرباب السجون؟! لاحظ الأب توتر الأم، فطلب من ابنته أنها تستعد لاستقبال الضيوف واختلى بالأم ليلومها على كسر فرحة ابنتها بعد كل هذا العمر، ويذكِّرها أنه من البداية قد قبِل نسب زكريا وعائلته، وأن ما حدث له يحدث وسيحدث للكثير من أمثاله، فهو لا يُلام على وضع لم يختره بل أُجبر عليه، وأن ما حدث لا يمكن أن يؤثر بأي حال من الأحوال على أصل زكريا، فسيظل ذلك الشاب الذي تربى في بيت كريم لأسرة كريمة، ثم في الأخير طلب منها أن تذهب لابنتهما لتشاركها أهم لحظات حياتها، فانصاعت الأم مقتنعة وفرِحة لتقوم بتجهيز ابنتها وإعداد واجب الضيافة لمن سيحضرون.

أخذ الأب اجتماع الأسرتين لبرِّ الأمان بلا عوائق ولا منغِّصات إكرامًا لصديقه المرحوم والد زكريا، بل إنه عرض على الجميع بأن يتكفل وحده بكافة مصروفات الزواج، إلا أن زكريا رفض ذلك رفضًا قاطعًا، وقامت أمه بإخراج هدية العروس طاقم كامل من المشغولات الذهبية، فيفرح الجميع لفرحة العروسين ويحدِّدا موعدًا للعُرس، واختتمت الأسرتان اجتماعهما بكامل المودة والمحبة.

.....

قرارٌ مصريٌّ برفع درجة الاستعداد القصوى للحرب، فتوترت الأجواء في مصر، وأخذ الشعب في حثِّ قواته المسلحة على الأخذ بالثأر واسترداد الأرض وردِّ الكرامة المهدَرة في النكسة. وعلى الجانب الآخر، بدأت الدولة المعادية وأعوانها في أخذ وضع الاستعداد للحرب، وتكبدت خسائر فادحة حين أعلن القائد العام للقوات المسلحة عودة الجيش لثكناته العسكرية من جديد وانتهاء حالة الاستعداد للحرب، هياج شعبي وثورة عارمة وإحباط أصاب الشعب المصري فأصبح يتهكم على الأوضاع ويتوجه لقيادته بالنقد اللاذع.

يمر الشحاذ كما اعتاد من أمام المقهى مرددًا أن الحرب اقتربت ويجب أن نستعد لها، فسبّه كل من سمعه واتهموه بالعتَه وأنه مغيَّب عن الواقع، وطالبه البعض بالاكتفاء بالشحاذة وألا يُقحم نفسه فيما لا يفهم؛ ليقف أمامهم زائرًا كالأسد في عرينه مرددًا:

- تظنون فيَّ الظنون، وأنني أصبحت مجنونًا؟! وأنتم أيها المغيَّبون، تظنون أنهم هم المنتصرون، بل إنكم أصبحتم موقنين بأننا لن ننتصر ولو مرت السنون، إلا أننا نحن الغالبون ولكنَّ أكثركم لا يعلمون، وغدًا سترون حين نسترد كرامتنا ونلقن عدونا درسًا سيظل العالم عنه يتحدثون.

.....

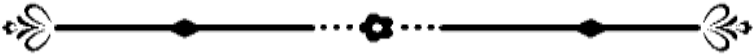

في منزل زكريا، وتحديدًا في غرفة مكتبه، يجتمع مع كلٍّ من عادل ومحمود من جديد، وتظهر على محمود معالم الثراء، وأنه أصبح بين عشية وضحاها من أثرياء القوم، ويظهر عليه أنه غارقٌ في أحلام اليقظة، يتذكر ماضيه وما كان، وكيف نجا من الموت ألف مرة منذ لحظة ميلاده، وحتى في السجون والإصلاحيات التي مرَّ عليها طيلة عمره، وكيف الآن أصبح بعد أن فعل خيرًا واحدًا طيلة حياته "حين دافع عن زكريا"، فماذا كان سيحدث له لو أنه كان فاعلًا دائمًا للخير؟!

حاول زكريا وعادل التحدث مع محمود ولكنهما وجداه في عالم آخر، فهو بينهما جسدٌ، ولكن عقله في عالم آخر، فرفع زكريا صوته ليفيق محمود من شروده فيسألانه عن سبب كل ذلك الشرود، لينفجر باكيًا ولأول مرة في حياته ليسرد لهما بين نحيبه تارة وشروده تارة أخرى قصته.

- لم يمر عليَّ يومٌ في الحياة اتقيت فيه صهدَ حرٍ أو صقيعَ بردٍ، فمنذ وعيت على تلك الدنيا وأنا أصارع للبقاء، لم أشبع يومًا، نعم آكل، ولكن فقط ما يساعدني على البقاء، نعم أرتدي ملابس، ولكن فقط لستر عورتي. هل جرَّبتما يومًا الجوع؟ لا ليس جوع الطعام، ولكن الجوع والاحتياج ليد تكفكف أدمعك ولحضن يهدِّئ روعاتك، فهذا الجوع أشد وطاة من جوع البطون، فكم اشتقت في ليلي لأنيس جليس وونيس يسايرني، أين أبي، وأيناها أمي؟ لا أدري.

أتعلمان كم من المرات انتُهكت؟ وكم من المرات سُلبت إرادتي عنوة؟

يشرد قليلًا ثم يكمل وبعينيه نظرة غضب:

- منذ اشتد ساعدي أقسمت أن أقتل كل من يحاول أن ينتهك حُرمة جسدي وأبررتُ بقسمي. أعلمتما الآن لماذا أمر الله أن يُرجم الزاني وتُرجم الزانية؟ حتى لا يأتي للمجتمع أمثالي؛ نحن بلا هوية وبلا مسمَّى، بل أن اسمي منذ الصغر "ابن حرام"، لهذا كان زكريا هو أملي الأخير في أن أصبح سويًا، فمنذ رأيته في زنزانة السجن خشيت من ميلاد منتَهَك جديد لهذا دافعت عنه باستماتة وبفضل الله نجونا.

يقترب زكريا من محمود فيتحاضنان وكأنهما إخوة منذ الميلاد، ليؤكد له أن أسلوب حديثه قد تطور كثيرًا عما مضى، وتدخَّل عادل محاولًا أن يواري عنهما دموع عينيه، ولكن صوته فضح أمره، فضحك محمود وذهب إليه وكأنه هو من يواسيه ليخفف عنه رغم أنه هو من يحتاج ذلك، وتدخَّل زكريا بالحديث ليطلب من عادل أن يروي لهما آخر ما استجدَّ بروايته. كفكف كلٌّ من عادل ومحمود دموعهما وظهرت على عادل علامات الرضا للحديث عن أفكاره في روايته ليبدأ دون مقدمات في سرد ما يدور بخلَدِه.

.....

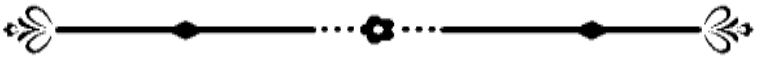

- عُقِد بالغابة المؤتمر الحيواني الأول لتنظيم شؤون الغابة والارتقاء بها، وتكفَّل الفيل بقيادة افتتاح المؤتمر وتعيين الأسد لقيادة المؤتمر، فيتحرك الأسد نحو المنصة وبجواره القرد ليبدأ الأسد بالترحيب بالحضور وتوجيه الشكر لهم على اختياره رئيسًا للمؤتمر، وذلك لبحث سبل العيش الآمن وتوزيع الثروات بين الجميع بالعدل، فيقف الضبع مقاطعًا الحديث ليوضح للجميع أن الخراف وحدها تحوز ثروات شرق الغابة وأنهم يعانون في بقية الغابة رغم أن الشرق بأكمله كان أرض أجداده.

تصدر همهمات من باقي الحيوانات والجميع يتعجب من قول الضبع، فالجميع على يقين تام بأن الشرق لم يكن يومًا أرضًا للضباع، ولكنهم منذ القدم يحاولون أن يسطووا عليه، وكل فترة يخرجون بحجة واهية.

زأر الأسد فصمت الجميع، ليسأل الأسد الضبع إن كان يملك الدليل على أن هذه الأرض أرض أجداده، ليرد الضبع قائلًا:

- نعم، فهناك هيكل جدي قد دُفِن في تلك الأرض من مئات السنوات، وإن سمح لنا الأسد بالتنقيب للبحث عن الهيكل سيكون معنا الدليل الدامغ الذي لا يقبل التأويل.

أصدر الأسد قرارًا هامًا بتشكيل لجنة للبحث والتنقيب عن الهيكل المزعوم.

ومع نهاية كلام عادل يقف محمود مندهشًا لما قصَّه عادل في روايته؛ أيعقل أن يكون للضباع ذلك الهيكل المزعوم في أرض الخراف؟ ولماذا تساهل الأسد مباشرة مع الضباع وأصدر ذلك القرار؟

.....

نظر كلاهما لزكريا ليجدانه غارقًا في شروده، حاول عادل أن يفيقه من ذلك الشرود إلا أن زكريا همس مخاطبًا نفسه: إن هناك حدثًا داخل الحدث لم تُفصح عنه الأحداث بعد، ويبدو أن ذلك العالم الفسيح يتشابه بشكل أو بآخر مع تلك الغابة وما يحدث بها. تدخَّل محمود ليقطع فِكر زكريا ويطلب منهما الخروج من المنزل ليجلسوا على المقهى كما اعتادوا في ذلك الوقت.

سمع صوت طرقات على الباب فذهب ليفتح، ليجد أخته الصغرى أمامه بيدها ماعون من الخزف عليه ما لذَّ وطاب من أصناف الفاكهة الصيفية الطازجة جاءتهم الآن من خيرات مزرعتهم التي كان يعتني بها والدهم. حاول زكريا أن يردها لكونهم الآن سيذهبون وعند عودتهم سوف....

لم يكمل كلامه مع أخته؛ فقد هجم ذلك الذئب الباحث عن فريسته على ما بيديها وأخذها بأكملها وانزوى بها في أحد جنبات الغرفة لينفرد بها

معوضًا سنوات الحرمان، ليس من الطعام والفاكهة، ولكن من روح الأسرة وذلك الدفء.

قام زكريا بصرف أخته الصغرى وهو يكاد يسقط أرضًا من شدة الضحك وكذلك عادل، وحاولا مرارًا وتكرارًا الاقتراب منه لنيل بعض مما رُزقوا به إلا أن محمود تشبث بما معه ودافع عنه ببسالة منقطعة النظير، وكأنهما في محاولة ليسلباه أرض وطنه وليس القليل من الفاكهة.

هدأ محمود قليلًا وأصبح يتلذذ بمذاق ما يأكل، فقد قاربت أمعاؤه على التمدد خارج جسده من كثرة ما ألقى بها من طعام.

كان لعادل حديث جانبي مع زكريا حول ذلك المحمود؛ فهو بحق أعجوبة من أعاجيب ذلك الزمن، كيف بدأ حياته، وكيف قضى شبابه ثم الآن ماذا أصبح؟ تغيرت لغته ومفرداته، بل وتغيرت معاملاته مع الأشخاص، ورغم ذلك لا زالت بداخله نزعة الهمجية والشد والجذب والدفاع عن ما يملك ولو بحياته رغم أنه يُعطي بسخاء لكل من يحتاج مساعدة.

نظر زكريا سريعًا لمحمود ثم التفت لعادل موضحًا له أن الإنسان نتاج ما أُحيط به، فقديمًا كان هناك الكتَّاب ومنه يخرج عباقرة ذوو محصِّلة لغوية مهولة، ومن لم يوفَّق منهم كان يتجه للزراعة أو الصناعة وتعلُّم حِرفة، فمنهم من أصبح تاجرًا، ومنهم من أصبح مزارعًا، وأصبح هناك النجَّار والسبَّاك والخبَّاز. انظر حولك الآن، ستجد من يتحدث اللغة العربية هم قلة قليلة جدًا، الحِرف والأعمال اليدوية أصبحت نادرة وهذا ينذرنا

بوجود كارثة محتملة وقريبة، سيصبح النجَّار مثلًا عند الحاجة إليه يجب أن تحجز قبلها بشهر على الأقل، وكذلك السبَّاك وغيرهم من الحرف، لذلك فمحمود عندما توافرت له بيئة مختلفة عن البيئة التي فُرضت عليه تغيَّر كليًّا وأصبح يتحدث وكأنه عالِم ويتناقش كباحِث أصبح يعبر عما بداخله بصدق ووضوح، لذلك فهو الآن يشعر بقيمته، أمَّا ما فعله الآن، فهو إحساسه الصادق جدًا بأنه في منزله وبين أهله، فيحاول أن يصنع لحظات كم تمنى أن يعيشها حقيقة، لهذا أنا لا أستعجب مما يحدث، بل إنني فرِح جدًا بأنني كسبت أخًا وصديقًا نادرًا ما تجود الحياة بأمثاله.

ترك محمود ما بيده ونظر إليهما مبتسمًا؛ فقد قضى على فريسته بأكملها، ثم طلب منهما الذهاب للمقهى لعل الحركة تساعده على هضم ما بجوفه، فضحكا منه واصطحبوا بعضهم البعض للذهاب.

.....

في غرفتها تجلس نيرمين ممسكة بقلمها لتكتب ما يجول بخاطرها بعد عودة الغائب ولمِّ الشمل من جديد، فكانت تلك رسالتها:

"تلك رسالتي بلا أرقام، بلا تاريخ، فقط أكتب لك وحدك، لا أعرف بماذا أناجيك. أحبيبي أنت أم خليل روحي، أم أنك عشقي السرمدي؟ لا أعرف تحديدًا، ولكنك في قلبي كلهم مجتمعون. سنوات وسنوات كنت وحدي

أواسيني وأطيِّب خاطري، ولأجلك صُنت عهدي، فعيني لم ترَ غيرك، وقلبي لم يتحرك سوى لك، وفِكري لم يشغله سواك.

خليلي الأبدي ورفيق روحي، أكاد أجزم أنني شعرت بكامل أنَّاتِك وأنينك، وتألمت لألمك، ولم أشُك للحظة في أنك ستعود، وها قد عدت. فأقسِم لي ألا تغيب عني من جديد؛ فلا أظن قلبي يتحمل غيابك عني مرة أخرى. مع خالص حبي.. نيرمينتك".

.....

يجلس الأصدقاء في لحظات من السعادة يحتسون مشروباتهم ويتبادلون الحديث، يهمسون.. يضحكون.. يصمتون؛ زكريا يدقِّق النظر في ذلك الشاب المار من أمامهم في طريقه إلى ذلك الجزار ليقف أمامه لأول مرة دون خوف أو تردد، ليخرج له المعلم بركاني وفي عينه نظرات غضب..

بركاني: خير يا اسم مش على مسمى؟!

عنتر: نوبة حراستي خلصت وجاي آخذ التعيين.

بصوت جهوري ينادي على عامل المحل ليجهز له خمسة كيلو من اللحم الصافي لكلاب الباشا.

يقف عنتر مصدومًا غير مصدق ما يقال، ليبدأ حديث بينه وبين نفسه: "خمسة كيلو لحم صافي! عشت إنسان ما لقتش عضم آكله، ولمَّا بقيت

كلب من كلاب الباشا بقيت آكل اللحمة؟ يعني خلاص مبقاش ليَّا أي قيمة في بلدي؟"

مع مرور الشحاذ وسماعه لكلام عنتر، فوقف في وسط الطريق مجاهرًا بصوته:

الشحاذ: مش قبلت تتداين بلقمتك، زعلان ليه من اللي استعبدك؟ رمالك عضمة وفرحت وآهو باعك كلب.

يكمل عنتر همْسه: لأ، أنا ليا قيمة في بلدي، وقيمتي بقت كلب، أيوه بقيت كلب.

ويأخذ في النباح حتى يذهب له زكريا فيمسكه من كتفه قائلًا:

زكريا: قبلت ليه من البداية؟

عنتر: بتسأل الجعان ولَّا اللي جوَّعه؟

زكريا: بسألك إنت، إنت شكلك متعلم ومحترم.

تتملَّك عنتر نوبة ضحك هيستيرية:

عنتر: متعلم! أنا الثالث على دفعتي في واحد من أندر التخصصات، وأبحاثي وما توصلت إليه لو أي دولة في العالم عرفت بيه لصنعوا لي تمثالًا في أهم ميدان إلا بلدي.

يصدر البركاني صوت صفير فيتحرك نحوه عنتر جريًا ليأخذ اللحم منه وينطلق عائدًا إلى القصر، يتعجب زكريا ورفاقه مما يرون، ليكمل الشحاذ سيره مرددًا:

الشحاذ: آه من نفوس البشر، وآه من اللي مستنينا! المال بقى هو السلطة والعلم بقى يفقر اللي يلزمه.

يسقط زكريا على الكرسي في يأس وإحباط شديد وينفجر في وجه عادل بألا يصمت، وألا يواري كلمته، يجب أن يكتب وأن يُظهر الحقيقة، بل واجب عليه أن يتحدث عن الغابة البشرية؛ فالغابة الحيوانية أقل وطأة مما يحدث في البشر. يتركهم زكريا ويغادر على غير هدًى ليجد نفسه أمام منزل الضابط أحمد، فيترحم عليه ويصعد للقاء والديه.

لا زال الحزن مخيِّمًا على الأسرة رغم حرارة اللقاء ومودته، حاول زكريا كثيرًا أن يسرِّي عنهم، لكن باءت كل محاولاته بالفشل، حتى هداه تفكيره إلى رحلة للأبوين ترفع ما في قلبهما من حزن، فأخبرهما بأن محمود سيمر عليهما في الصباح ليصطحبهما إلى جهة استخراج بطاقات السفر إلى الخارج والحجز لهما في رحلة حج هذا العام، حاول الأب في البداية أن يرفض ذلك إلا أنه في الأخير استجاب لرغبة زكريا، ففرح الأبوان لأول مرة منذ أن فقدا نجلهما.

في ذات الوقت كان محمود في طريقه لمنزل زكريا ظنًا منه أنه تركهما وعاد إليه، وبالقرب من المنزل سمع صرخة استنجاد، فجرى مسرعًا نحو مصدر الصوت ليجد رجلًا يحاول سرقة فتاة، فدقَّق النظر ليجد أنها جاسمين الأخت الصغرى لزكريا، فانطلق نحو الرجل ليحمله بكلتا يديه ويلقيه بعنف نحو جدار، وبمجرد سقوطه أرضًا اتجه نحو رأس ذلك السارق ثم ترك

لقدمه اليسرى العنان لتركلها بقوة ليفقد على إثر ذلك وعيه ثم يصحب جاسمين إلى المنزل، وعلى باب الفيلا وجد زكريا عائدًا الذي ما إن رأى بكاء أخته حتى سأل عن السبب، فقصت عليه ما كان من محمود وما فعله مع ذلك السارق.

.....

استغلت جليلة فرصة بقاءها بالمنزل وحدها وأخذت تسترجع ذكريات الماضي وكيف التقت بعادل، وتلوم نفسها على تغيُّر شخصيتها عن ما كانت عليه، وكل ما يدور بخلدها أن عادل سيبحث عن زوجة غيرها ليحقق حلمه المشروع في وجود وريث له من صلبه وهذا ما يجعلها في توتر دائم، إلا أنها أخيرًا قررت أن تزيل عنها توترها ذلك وتعود كما كانت تلك الفتاة المثقفة المتعلمة، وستعامل زوجها بما يرضي الله وستترك له حرية الاختيار حتى لو كانت النتيجة أن يأتي لها بضرة، فهذا حقه الشرعي.
قامت جليلة من جلستها لتذهب للاغتسال وارتداء أجمل ثيابها، ثم تزينت وتعطرت وجلست في انتظار زوجها.

.....

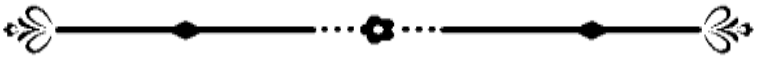

داخل فيلا زكريا كانت الأم مصدومة مما حدث، وكذلك أختهما الكبرى فوزية، أو كما يحب زكريا أن يلقِّبها بالأميرة فوزية. استأذنت جاسمين للذهاب إلى غرفتها، ثم وقف بعيدًا وأشارت إلى زكريا كي يذهب إليها، وفي داخل غرفتها جلست مرتبكة لا تجد ما تقوله وزكريا يحثها على الحديث، وفي الأخير سألت عن محمود، وعن لماذا لم يتزوج حتى الآن، فتبسَّم لها ولم يغضب وفهم أنها معجبة بصديقه ولا مانع لديها أن تصبح زوجة له، ولكن من واجبه أن يوضح لها أن محمود من "أرباب السوابق"، بل إنه سُجن لشدة خطورته على المجتمع، كما أنه مجهول النسب، وفي نظر القانون هو "ابن سفاح". ارتبكت جاسمين وشعرت بأن هناك جبلًا قد وُضع فوق صدرها، إلا أن زكريا أكمل حديثه عن شهامة محمود ورجولته، وأنه بصدق أصبح الخِلّ الوفي، وترك لها حرية موازنة الأمر، فتلك عيوبه وهذه مميزاته، ولها حرية الاختيار.

.....

دخل عادل منزله وذهب نحوها ليبادرها بالسؤال عن زوجته جليلة، فضحكت له، فظنَّ أنه في حلم، ولكنها أكدت له أنه مستيقظ لا يحلم، ثم أجلسته أمامها لتقص عليه كل ما يدور بذهنها، بل إنها قالتها له بصراحة

إنها الآن تقبل أن يتزوج عليها ليحقق حلمه في وجود وريث له. فعلتْه الدهشة عندما سمع ذلك.

بادرت جاسمين بسؤال زكريا عما إذا كان محمود قد انصلح حاله الآن أم أن الشر لا زال مسيطرًا عليه ومن الممكن أن يعود إلى سيرته الأولى، فطمأنها زكريا بأن محمود الآن إنسان جديد جدير بالثقة، فتبسمت جاسمين، ثم سمع زكريا صوت محمود يناديه.

اقترب عادل من جليلة وقبَّل رأسها ليهدِّئ من روعها، ثم سألها لماذا يتزوج عليها وإلى الآن لم يتيقَّنا من أيهما تكون العِلة، فقد يكون هو غير القادر على الإنجاب، وقد يكون الله قد أخَّر عليهما رزقهما حتى يتمتعا بالحياة قبل أن يُرزقا بطفل يستحوذ على اهتمامهما. بدأت الفرحة في التسلل إلى قلب جليلة فجلست أمامه ووضعت رأسها على فخذه فأخذ يمسح على شعرها.

تحدث محمود مع زكريا فظهرت على زكريا علامات التعجب مشوبَة بالحزن؛ فمحمود يتقدم ليطلب يد فوزية، وكأنه أسقط على رأس زكريا حجرًا من همٍ؛ فكيف تتمناه هذه وهو يطلب تلك؟! ثم سأله زكريا إن كان تحدَّث مع فوزية عن ذلك، ولكنه نفى، ليحمد الله ثم يطلب منه أن يتمهل في ذلك الطلب قليلًا وألا يخبر أحدًا بما دار بينهما.

.....

مارشات عسكرية تقطع جميع محطات الراديو عن بث برامجها لتذيع نبأ هامًا: "القوات المصرية في اشتباكات عنيفة مع العدو بطول شاطئ القناة في بداية حرب التحرير". عمَّت الفرحة أرجاء الجمهورية، ورغم القلق على أبناء الشعب في هذه الحرب إلا أن ردَّ الأرض والكرامة أهم وأبقى من جميع الشباب في هذه المعركة.

ظهرت نتائج البحث عن الهيكل المزعوم في شرق الغابة، ليفاجأ الجميع بإخراج هيكل عظمي حيواني من أرض الخِراف فيهلل الضباع ويظهر على وجه الخِراف القلق. يهب القرد ليسكت الجميع قائلًا: ولكن هذا الهيكل هيكل ذئب وليس ضبعًا. يعم اللغط بين الجميع فينفرد الأسد بالقرد ليسأله عن كيف حدث ذلك، فيضحك القرد موضحًا للأسد أنه راقب الضباع حين قاموا بوضع الهيكل، ثم قام باستبداله بهيكل ذئب؛ فالضباع خونة، ولكن الذئاب ليسوا كذلك.

أُصيب الأسد بالصدمة؛ فكيف يكون القرد هو من يخطط وينفذ، وفي ذات الوقت يتهم الضباع بالخيانة مع إنه هو من خان؟!

.....

اتجهت جليلة نحو عادل وجلست بجواره واضعة أمامه قهوته وقرأت ما كتبه عن غابته، ثم نهضت لتذهب دون أن تعكر صفوَه أو تقطع حبل أفكاره.

خطاب السيد رئيس الجمهورية عن معجزة قام بها أبناء الجيش، ففي ست ساعات كان قد أتموا ما أرادوا وانتصروا على العدو، بل انهم قاموا بالقضاء على أسطورة الجيش الذي لا يُقهر، وكذلك خط بارليف، ذلك الحصن الترابي وما به من مادة النابلم، ثم أخذ يترحَّم على شهداء الوطن.

لا زالت أخبار الحرب تتوالى، وأصبح الشعب في فرحة عارمة حقيقية وليست فرحة مصطنعة كفرحة الانتصار في مباراة كرة قدم. وهناك على المقهى تجمَّع الناس، الكل يتبادل التهاني، هذا يتباهى بابنه الشهيد، وذلك يفتخر بقريبٍ له عبر إلى سيناء، والآخر فرح بما حققه جاره، والجميع يتوعد العدو بالإبادة، فلن تقوم لهم قائمة بعد اليوم. وفي داخل حانوته يجلس بركاني مغمومًا لما يسمع من أخبار؛ فلو أن النصر أصبح حليف بلده لبارت تجارته ولتفتحت عليه أعين الناس والحكومة؛ فكيف سيتاجر في السباب والدولة ستبدأ في النهوض بعد ويلات الحرب؟

وعلى الجانب الآخر في فيلا الباشا وكلاب حراسته يجتمع بعض أصحاب الياقات البيضاء والكل يستعرض ما لديه من كلاب شرسة مدرَّبة، فيأذن لهم الباشا ببدء النزال ليقوم عنتر بالدخول إلى حلبة الصراع وأمامه شاب آخر ويبدآ صراعًا وحشيًا فيما بينهما، فالفائز له مكافأة كبيرة من بقايا طعام هؤلاء الصفوة.

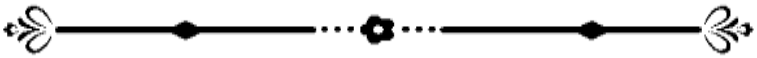

مرت الأيام سريعًا ووضعت الحرب أوزارها وتحقق النصر لمصر، وبقيت طابا معلَّقة بين الجانبين، وهدأت الأوضاع، إلا أن الشعب بدأ ينقسم على نفسه، فهذا مؤيد للسلام وغيره معترض على ذلك السلام، وهناك أسرار عُليا لا يعلمها إلا من بيدهم زمام الأمر.

.....

وبدأ في مصر عصر الانفتاح، فيؤسس زكريا شركة بينه وبين عادل ومحمود للتصدير والاستيراد، ثم يعلنون عن حاجتهم لسكرتيرة، فتتقدم الفتيات ويقع الإختيار على السيدة رباب لتكون هي سكرتيرة الشركة؛ شابة أنيقة متوسطة التعليم والجمال، وتعول طفلة لكونها مطلقة، ورغم اعتراض عادل على اختيارها إلا أن زكريا أوضح له أنه يتاجر فيها مع الله، فهو يضمنهم ويضمن أخلاقهما، فلن يتعرض لها أحد منهما وكذلك يساعدها في تربية ابنتها ويكسب فيها الثواب فهي أكثر المتقدمات حاجة للعمل والكسب، فوافقاه غلى ذلك وشكراه على حُسن تفكيره.

ومع بدايات العمل في الشركة تحضر فوزية وجاسمين للمباركة وتقديم التهنئة على افتتاح الشركة، وتصادف في ذلك اليوم وجود عميل للشركة فأعجب بفوزية وقرر أن يتقدم لخطبتها، وهنا شعر زكريا بأن رأسه قد وضعت ما بين المطرقة والسندان؛ فهذا يريد فوزية وصاحبه أيضًا يريدها،

وهذا الأخير تريده جاسمين وهذا الأول لا تريده جاسمين، فسقط على كرسيه لا يدري ماذا يفعل.

مرت أيام على تلك الواقعة واقترب موعد الرد على من تقدَّم لخطبة فوزية، وهناك في الفيلا وقبل ذهابه للشركة يجد أمامه جاسمين تعتليها الحيرة؛ فهي تريد الحديث، ومع ذلك تحاول الفرار منه، إلى أن يدعوها زكريا لغرفة المكتب ويجلس معها قليلًا لتقر له بمكنون ما وقَر بخاطرها، وتخبره بأنها شعرت فجأة بالأنانية؛ فهي تفكر في ذاتها وتناست ماذا ستفعل حين يكبر أبناؤها ويتقدمون لجهات ذات مسؤولية في الدولة ويكتشفون أن الأب له "سوابق إجرامية"، ورغم أن ذلك القول فتح باب الأمل لزكريا إلا أن الأمر لا زال معقدًا، ورغم ذلك فقد حاول أن يبرر لأخته موقف محمود، إلا أنها كانت بالفعل قد توصلت لقرارها النهائي، فهي لا تريد محمود، وأن ما حدث لا يتعدى كونه إعجابًا بشهامة رجل وقف معها موقفًا رجوليًا.

وهناك في الشركة يدخل زكريا مكتبه ليجد محمود في انتظاره، فيبادره محمود بأنه علم من عادل أن هناك شخصًا ما قد تقدَّم لخطبة الآنسة فوزية لهذا جاء ليخبره بأنه يحله من طلب يدها ويوضح له بأن طلبه ليدها كان لتوطيد العلاقات بينهما، أمَا وقد أصبحا الآن شركاء في الشركة فلا يجب أن يقف في طريق سعادة أحب الناس إلى قلبه. وهنا حاول زكريا أن يوضح له الأمر، ولكن محمود رفض أن يبرر له أي شيء وتمنى السعادة لأخته من

كل قلبه، ومن جديد تعانق الصديقان فأمسك زكريا الهاتف وتحدث مع فوزية عن ذلك الشاب ففرحت جدًا ووافقت بلا تردد.

وقبل أن يدخل محمود إلى مكتبه وجد الباب مفتوحًا ليرى رباب وهي تقف أمام صورته تبث لها مكنونها وكيف أعجبت به منذ أن رأته، وهنا يبتعد محمود عن المكتب ليشعر بمشاعر مضطربة، ففي الوقت الذي يودع فيه أول من دقَّ لها قلبه يجد أمامه من يدق قلبها له، فيغادر الشركة على غير هدًى ليذهب إلى أحد الأندية القريبة من الشركة ويطلب القهوة ليجلس مع ذاته مفكرًا فيما يحدث.

.....

أصبح الآن شرق الغابة يجمع بين النقيضين؛ فالخراف ترعى وحولها الذئاب، ولا زال مجلس قيادة الغابة في انعقاد خشية أن تكون الخراف قد دبَّرت مكيدة للذئاب، ولكن ما حدث كان غير ذلك تمامًا؛ لقد صمتت الخِراف، بل ارتضت بالأمر الواقع وأصبحت حياتهم بخلاف ما كانت عليه، فمن الحرية المطلقة إلى التقيد الكامل في الحركة والتنقل والتجمع والتحدث، بل إن الطعام أصبح بمواعيد، على أن يخرجوا للطعام والرعي مجموعات مجموعات. فرِّق تسُد مبدأ هام من مبادئ استعباد البشر لبعضهم البعض.

وفي يومٍ من الأيام أعلن الذئاب حالة الطوارئ والتي بها تُمنع الخراف عن المراعي والطعام لشكِّهم في وجود مؤامرة من الخراف ضد الذئاب، حاولت الخراف أن تعترض فلاقوا ويلات اعتراضهم، وهناك في مجالس الغابات وقف ممثل جامعة الحيوانات المستأنسة ليشجب ويدين ما يحدث في شرق الغابة من تجويع وترويع لأهل الأرض، وهنا يقف القرد معترضًا على كلمة أهل الأرض، ليؤكد أن الأرض أرض الذئاب. ومن بعيد يحدِّث الحمار نفسه: آلآن وقت الحديث عن من يكونون أصحاب الأرض، أم الحديث عن تلك الدماء التي تراق فوقها؟! لتضحك البومة من حديث الحمار وتنطلق لتخبر القرد بما كان، فيطلب القرد من الأسد عقد اجتماع طارئ لبحث الأوضاع المستجدة في الغابة.

دخل زكريا إلى مكتب عادل سائلًا عن محمود، فوجده منهمِكًا في الكتابة، فتهللت أساريره، فمنذ فترة بعيدة لم يتناقشا في روايته. فجلسا سويًا وبدأ عادل بطرح ما جاء بفصول روايته وما أضافه، فشعر زكريا بالسعادة لما يسمع.

إحدى النعاج تتسلل ليلًا في محاولة منها لإحضار الطعام، فيعترض طريقها ذئب.

تجمهُر من بعض الخراف في محاولة بائسة منهم للخروج للرعي والحصول على بعض الطعام، وفي وسط هذا الجمع خرج خروف مصطحبًا معه خروفًا آخر مقنعًا إياه بأنه وجد السبيل للطعام، وبالفعل ابتعدا عن القطيع،

فهجم عليهما الذئاب وأخذوا الخروف وأعطوا الخائن قليلًا من الحشائش، فأكل وعاد إلى أهله يشكو لهم ويلات ما لاقوا، بل ويزعم أن هناك خائنًا بينهم، وأشار إلى تلك النعجة التي وجدوا لديها بقايا طعام، فما كان من القطيع إلا أنهم أصدروا قرارهم بالتفريق بينهم وبينها، وأمروا ألا تعود للعيش معهم من جديد رغم أنها بكت وروت لهم أنها لم تخُنهم، وأنها فقط تعرفت على ذئب فرقَّ لحالها وأعطاها الطعام، ولكن ذلك الحديث لم يلقَ قبولًا لدى القطيع.

.....

عاد محمود للشركة فعلم بوجود زكريا في مكتب عادل، دخل عليهما فتلقَّاه زكريا بشغف سائلًا إياه أين كان، فتهرَّب من الرد وأدار دفة الحوار للسؤال عن العمل وهل هناك لقاءات أو مواعيد؟ فسايره زكريا وأجابه بالنفي، ثم استأذنهما في العودة لمنزله؛ لأن هناك من سيحضر اليوم لطلب يد الأميرة فوزية، فقدَّما له التهاني والمباركات ثم غادر زكريا وذهب محمود إلى مكتبه وجلس مفكرًا فيما يحدث، ورغم شعوره بأنه منبوذ من أقرب صديق، بل صديقه الوحيد، إلا أنه في ذات الوقت لا يلوم عليه؛ فماضيه لا يمكنه التنصُّل منه وكثيرٌ من العائلات سترفض مجرد التفكير في تقدُّمه لبناتهم.

دخلت رباب المكتب ووضعت أمامه كوب الشاي، ولكنه لم يشعر بوجودها، تنحنحت فاستفاق من غفلته ليجدها أمامه، فشكرها على الشاي وطلب منها أن تترك عمل المشروبات للساعي وتهتم فقط بعملها، فشعرت في هذه اللحظة وكأنه ينهرها، فتدارك محمود الموقف سريعًا موضِحًا لها أنها واجهة الشركة وأحد أعضائها ولا يليق أن يراها العملاء وهي تصنع المشروبات، ففرحت لاهتمامه بمظهرها ومكانتها والتي تعلم جيدًا أنها أكبر كثيرًا مما كانت تستحق.

.....

لا زال عادل غارقًا في أفكاره، يفرغ على الورق كل ما يدور بخلده، فأخذ يكتب عن اجتماع القمة الحيواني وكيف أدار ذلك القرد المؤتمر ببراعة في وجود الأسد، لينتهي الاجتماع لعدة قرارات هامة تتلخص فيما أعلنه الأسد على الملأ في عدة نقاط:

أولًا: تغيير مواعيد الرعي للخراف لتصبح مرتين فقط في اليوم.

ثانيًا: نزع كل ما يمكن أن يشكِّل تهديدًا أو سلاحًا يُستخدم ضد الذئاب.

ثالثًا: كسر قرون الخراف وبرْد حوافرهم وخلع بعض أسنانهم حتى لا يتسنى لهم الهجوم على الذئاب.

هاجت الحيوانات وذُهلت الخراف لما يحدث، حاول الجميع الاعتراض إلا أن الأسد رفض اعتراضهم؛ فالاعتراض حق أصيل للحيوانات المفترسة لأنهم

أحق بالغابة من غيرهم، وللأسف انصاع الجميع للقرارات وتقدَّم الخراف واحدًا تلو الأخرى لينزعوا منهم قرونهم وأسنانهم ويبردوا حوافرهم، ورغم الألم والبكاء كان المفترسون يضحكون ولا يبالون بألم غيرهم.

.....

في الفيلا، كان زكريا مع أسرته ومعهم الخاطب وأسرته يقرأون الفاتحة ويتمنون زيجة مباركة، وجلست فوزية لتتعرف على الشاب وجدي وعلى أعماله وشهاداته فازدادت به إعجابًا وتمَّ الاتفاق على موعد الزواج، ثم استأذن وجدي وأسرته. فرحت والدتهم كثيرًا بهذا الشاب ودعت الله أن يتمم لهما بالخير ودعت لجاسمين أن ترزق بعريس لا يقل عنه أدبًا وجاهًا.
كان الجميع في الشركة يقدمون لزكريا التهنئة وفرح الكل لفرحه، فقرر محمود أن يصرف لجميع العاملين مكافأة ففرحوا لذلك وذهب كل منهم لعمله بحب وهِمة ونشاط وكأنهم يشكرون رب العمل بطريقتهم الخاصة.
لام عادل على محمود ذلك القرار؛ فالشركة لا زالت في بدايتها وليس هناك فائض ربح لتُصرف منه المكافآت التي أقرها للعاملين، كاد محمود أن يرد لولا أن زكريا شكر محمود على أنه قال ما كان يفكر فيه، وتجاهل كلام عادل تمامًا حتى لا تكون هناك مشكلة بينهما.

دخل عادل مكتبه غاضبًا لتجاهل زكريا لكلامه وكأنه غير موجود، ليجد زكريا يدخل عليه مكتبه ويبدأ في توضيح ما كان منه بالخارج؛ فمحمود بالنسبة لزكريا أخ حقيقي مثل عادل، إلا أنه منذ زمن قد قطع العهد على نفسه بألا يرد لمحمود كلمة، ورغم عدم اقتناع عادل إلا أنه استجاب لزكريا، بل واكتفى بأن زكريا اهتم به وبغضبه وجاء ليراضيه فشكره على ذلك، ثم فجأة دخل عليهما محمود متحفزًا ونظر بغضب لعادل، فشعر عادل بأن هناك أمرًا جللًا، لكنه وجد محمود يحتضنه ويقدم له الاعتذار عما بدر منه، بل ويطلب أن يقوم بسداد المكافأة من ماله وأرباحه، إلا أن عادل رفض ذلك كليًا، وكذلك زكريا، ثم اتفقوا على الذهاب للمقهى للهروب من أعباء العمل.

وبالفعل شعر الأصدقاء بأنهم كانوا جميعًا في حاجة ماسة للهرب من الضغوطات والروتين، وكم كانت سعادتهم حين وجدوا صديقين يجلسان على المقهى أيضًا؛ أحدهما يعزف على العود والآخر يغني والجميع في حالة طرب ونشوى عارمة من صوت ذلك الشاب الرائع، كانت الكلمات لأحمد فؤاد نجم وألحان الشيخ إمام في أغنيتهما الشهيرة شيِّد قصورك على المزارع من كدِّنا وعمل إيدينا، والخمَّارات جنب المصانع والسجن مطرح الجنينة، وأطلق كلابك في الشوارع واقفل زنازينك علينا.

كم ثقلت تلك الكلمات على زكريا! فقد تذكر ما كان وتذكر حين سُجن ظلمًا وكادت تخونه عينيه لولا أنه تماسك ومع صوت من خلفه مع تغير صوت العزف ودخول الشحاذ وهو يغني:

يا فلسطينية والبندقاني رفاكو.. بالصهيونية تقتل حمامكم في حداكو

يا فلسطينية وأنا بدي أسافر حداكو.. ناري في إيديا وإيديا تنزل معاكوا..

على راس الحية وتموت شريعة هولاكو.

كان يغني ذلك الشحاذ وهو ينظر للمعلم بركاني وكأنه يقصده هو بكلمات الأغنية، فغضب المعلم ودلف لحانوته وخرج ممسكًا بسكين صغير وحاد جدًا، وطلب من صبيه أن يثبت ذلك الشحات، فجرى نحوه ممسكا إياه ليقوم بخلع عِمة رأسه وحلاقة ذقنه أمام الجميع. كاد محمود ينفجر غضبًا ويدخل في صراع مع ذلك المعتدي لولا أن زكريا أوقفه.

أخذ كلٌّ من زكريا وعادل يقتربان من الشحاذ وكلاهما تعتريه الدهشة مما يريان؛ هذا هو حقًا؟ أخذا يتساءلان: هل هذا الشحاذ هو حقًا الأستاذ شقنقيري المحامي الشهير الذي كان يدافع عن زكريا باستماتة وكأنه يدافع عن ابنه؟ اندفعا نحو بركاني ليبعداه عن الأستاذ الذي حاول التخفي والبعد عنهما، إلا أنهما تمسكا به وأخذ زكريا يذكِّره بنفسه ليقف أخيرًا الشحاذ وسط الطريق معلنًا أنه يعرفه جيدًا ويتذكر جيدًا لحظات محاكمته وكيف حاول طمس التهم عنه، إلا أن زكريا صمم على رأيه وكلمته وتمسك بها. سقط الأستاذ أرضًا وجرى نحوه ليرفعه ويُجلسه على الكرسي، وقام محمود

بايقاف سياره أجره وركبوا والأستاذ معهم ليتوجهوا نحو منزل محمود وزكريا القديم، وهناك تركهم محمود ونزل فأخذاه إلى الحمام وقصَّا له شعره وتركاه ليتحمم، وقبل انتهائه كان محمود قد عاد ومعه طعام وملابس للأستاذ زكريا، ثم وضع براد الشاي على النار لحين انتهائهم من الطعام، وبعد الطعام جهَّز لهم محمود الشاي والسكر في الأكواب، وأخيرًا قام الأستاذ ليضع الماء بالأكواب رغم محاولة الجميع منعه إلا إنه أصر وقدَّم لهم الشاي ليجلس الجميع مستمتعا بمذاق الشاي، ثم نظر زكريا إلى الأستاذ متسائلًا: ماذا حدث؟

ورغم أن الأستاذ في البداية كان متحفظًا في سرد ما حدث له، إلا أنه شعر بينهم أنه يمكن أن يُسقط عن كاهله ذلك الحِمل من الهموم، فجاءت جملته الأولى:

- ظننت أن الحياه تدور في فلكي، وأنني أنا من يبرِّئ ويدين، فاتتني الحياة بكل ما تشتهيه النفس؛ شباب وجمال وصحة ومال وشهرة، كما أنني صُنِّفت كواحد من أهم مشايخ القانون في تاريخ مصر، وكانت مرافعاتي تهتز لها جنبات المحاكم ويشهد لها القاصي والداني، فتهافتت عليَّ كبرى الشركات لأكون مستشارها القانوني، وكذلك عائلات مصر ذات الثراء الفاحش، وكانت الاحتفالات الكبرى تقام على شرفي، حتى دُعيت يومًا للقاء عمل داخل مقر شركة.

رأيتها بعيني تغدو وتجيء وكأنها تنثر عبيرها في جنبات الشركة فنسيت لمَ حضرت ولمن حضرت، ذهبت إلى حيث جلست ووقفت كأنني أمام منحوته إغريقية دبَّت بها الروح فجأة، ولا أذكر ماذا حدث بعد ذلك وماذا حدث بالاجتماع، فكل ما أذكره عيناها.

حاولت مرارًا وتكرارًا أن أتحدث معها أو أن أغريها بما لديَّ، ولكنها كانت ذات عفة وعلى خلق، فتقدمت رسميًا لخطبتها وقد كان، فتمت مراسم الخطوبة في ليلة كأنها أسطورية حتى أنها صارت حديث الجميع لشهور طويلة.

ذات يوم، طلب مني صاحب الشركة التي تعمل بها أن أقوم بعمل توكيل لها من توكيله الذي لديَّ لتساعدني في بعض أعمال الشركة وسريعًا، فأمرت مساعدي في المكتب أن يجهز صيغه التوكيل. وقف المساعد يقرأ الورقة أمامي ولكن عينه لمعت قليلًا، ثم طلب مني أن أنتظرخمس دقائق، ذهب ثم عاد إليَّ وهو يحمل بين يديه ملف قضيه يحمل اسمها!

أخذت منه الملف وقمت بمطالعة أوراقه فتذكرت تلك القضية العجيبة التي مرت عليها سنوات، فتلك القضيه تحديدًا ذاكرتها وتحضرت للمرافعة وترافعت فيها وكان الحكم بالبراءة دون أن أرى المتهمين فيها رغم أنها قضية حضور المتهمين فيها وجوبي، وبالفعل حضر المتهمان وكانا فتاة وشاب، لكن لمَّا تاخر حضورهما للقاعة أنهى القاضي جلسته وداخل غرفة المداولة تم استدعاء المتهمَيْن فتجهزت ودخلت للغرفه وحضر

المتهمان ليقفا خلفي، وعندما انتهت مرافعتي أشار القاضي للحارس بأخذهما للخارج ثم سمح لي بالانصراف، فخرجت سريعًا، ولكن الحارس كان قد اصطحبهما لعربة الترحيلات مباشرة، فلم تسنح لي الفرصة لرؤيتهما، ثم عرفت الحكم وغادرت، ومع الوقت نسيت تلك القضيه وتفاصيلها.

ذهبت إليها في مقر عملها وواجهتها فلم تنكر، وأقسمت أنها لم تكن تعرف أنني من ترافعت عنها، ظننت أنني حصلت لها على البراءه ليقيني ببراءتها، ولكني قلت لها أن البراءة كانت ليقيني أنني بارع في عملي وليس لبراءتك. انهارت باكية وأخذت ترجوني ألا أكون قاسيًا كقسوة الزمن عليها، وأقسمت أنها بالفعل بريئة، ولكني أخذتني العِزه بالاثم، فأنا من يشار إليه بالبنان والجميع يرجو رضائي تكون زوجتي سارقة؟! فقمت بخلع خاتم الزواج من يدي وألقيته أمامها وتركتها بين زملائها وكأنني نزعت عنها رداءها فأخذت تتخفى عنهم حتى سقطت مغشيًا عليها وتم نقلها إلى المستشفى، وظلت لأشهر طويلة تعالج نفسيًا مما فعلته بها. أمَّا أنا، فكنت ألهو وأمرح غير مبالٍ بما فعلته بها.

وفي الأخير تقدمت لفتاة أخرى وتمت الزيجة سريعًا، وعادت هي إلى عملها بعد أن شفيت مما تسببت فيه، فكنت كلما التقيتها أنظر إليها نظرة كأنها سهم مسموم فتبعد نظرها عني، حتى جاء اليوم الذي دُعيت فيه لفيلا صاحب الشركة لحضور حفل توقيع إحدى أهم الصفقات، وبالفعل

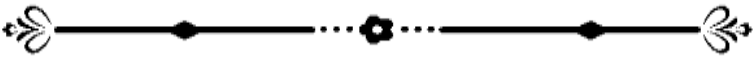

حضرت مع زوجتي وكنت أسير بين الحضور وكأنني طاووس، كنت مختالًا بنفسي وتسرني نظرات الناس إليَّ وإلى تلك الفتاة التي تمسك بذراعي وكأنها البدر في ليلة التمام، وأخيرًا تمت دعوتنا إلى المكتب لتوقيع العقود، وداخل المكتب ذهبت لطاولة الاجتماعات مع الساده الحضور وكانت هي تتجول قليلًا حتى انتهيت من توقيع العقود وأكملنا الحفل وغادرنا، وفي الطريق طلبت منها أن نمر على المكتب لإحضار ملف مرافعتي في قضية ما لمراجعته، وفي الأخير وصلنا إلى المنزل. وفي اليوم التالي، انتهيت من أعمالي وذهبت إلى مكتبي لأتفاجأ بوجود ضابط شرطة يطلب مني الذهاب إلى النيابة فورًا بناء على طلب السيد رئيس النيابة، وهناك كانت الصدمة! فصاحب الشركه يتهم جميع من دخلوا غرفة المكتب بالسرقة؛ فهناك مشغولات ذهبية قد فُقدت، وصدر الأمر بتفتيش منزلي ومكتبي، ورغم عصبيتي الشديدة إلا أنني كنت مطمئنًا جدًا، فلم أسرق شيئًا لأخاف. ومن داخل مكتبي أخرج الضابط منديلي القماش وبه المشغولات الذهبية المسروقة.. كدت أفقد وعيي مما يحدث، حتى أنني حين وجدت زوجتي السابقة في النيابة ظننت أنها من فعلت ذلك لتنتقم مني.

مرت الأيام ثقيلة بين التحقيقات وتجديد الحبس وأنا كالمغيَّب عن الدنيا لا أعلم كيف حدث ذلك، وبالفعل حُكم عليَّ بالسجن لمدة ثلاث سنوات، وبعد فتره داخل السجن فوجئت بهم يخرجونني بل ويهنئونني على ظهور براءتي، ولكنني كنت قد فقدت كل شيء حتى رغبتي في الحياة. وفي النيابة

وجدت زوجتي وفي يدها تلك الأساور المعدنيه التي كانت حول معصمي قبلها، وهناك علمت أنها من قامت بذلك أثناء انشغالنا بتوقيع العقول، ولولا ستر الله ما عُرفت جريمتها، فابن صاحب الفيلا كان قد دخل من الباب إلى المكتب، ولكن والده نظر إليه فخرج دون صوت، وفي النادي شاهد زوجتي من بعيد فخاف منها، وحين سأله والده عن سبب خوفه قصَّ عليه أنه شاهدها وهي تسرق بمنديل أبيض في فيلتهم، ولكنه نسي أن يقول له، ولهذا أخرجوني. وهناك في النيابة رأيت من ظلمتها، فنظرت إليَّ نظرة لم ولن أنساها ما حييت، ومنذ خروجي وحتى اليوم وأنا في الشارع لم أفارقه.

سكت الأستاذ وفي عينيه دمعة معلقة وهم على جلستهم وكأن على رؤوسهم الطير حتى قام محمود ليحتضن الأستاذ شقنقيري، وأصدر زكريا أمرًا بتعيينه مديرًا للشؤون القانونية بالشركة. حاول التنصُّل ولكنهم جميعًا ألحوا عليه فما كان منه سوى الرضوخ لهم، وقام زكريا بإخراج مبلغ مالي وتركه للأستاذ حتى يقوم بشراء كل ما يلزمه، ثم خرجنا جميعًا وتركناه لينال قسطًا من الراحة على أن نلتقي جميعًا غدًا في مقر الشركة والتي ترك عادل للأستاذ ورقة بها عنوانها. وبعدما غادروا جلس شقنقيري يتذكر كل ما مرَّ به؛ كيف انقلبت الحياة بين كرٍّ وفَر، وكيف صعد من القاع للقمة، وكيف هوى إلى أسفل القاع. أخذت الذكريات تهاجمه بضراوة، فحينًا يبتسم وحينًا يغمض عينيه، تارة يضحك وأخرى يبكي حتى غلبه النعاس ففرش المقعد

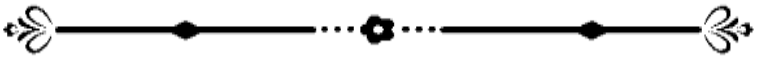

وغطَّ في نومٍ عميق، ليراها أمامه، جاءت تتمايل وهي تمشي الهوينَى ونظراتها تتبدل ما بين حزن وفرح، ورغم برودة الجو كان شقنقيري يتصبب عرقًا؛ فهو إلى الآن لا يقوى على أن يضع عينه في عينيها. أخذت تقترب منه وهو يهرب بعينيه منها، وما إن دنت منه حتى هوَت بيدها على صدره ففزِع من نومه صارخًا: ليلى..

نظر إلى الساعة المعلَّقة أمامه فوجدها قرابة العاشرة مساءً، فأحضر حقيبته المصنوعة من القماش وأخذ يفرِّق محتوياتها حتى عثر على ضالته فأخرج مجموعة من المفاتيح ومحفظة نقود بها تحقيق شخصيته ثم خرج من المنزل.

.....

وقف القرد وحيدًا في الغابة، ثم فجأة سمع صوتًا يتردد من حوله:

- لا تنكر أنك تفوقت على ما كنا نتمناه منك ونأمله.

تبسَّم القرد وردَّ قائلًا: لولا أنكم وجَّهتموني ما كنت يومًا أستطيع فعل ذلك.

صدرت ضحكة من الصوت ثم أكمل: يا لك من حاذق ماهر في استخدام المرادفات والكلمات التي تُشبع نهمنا من المديح! كاد القرد يتحدث، ولكن الصوت عاجله:

- كن حذرًا؛ فالمرحلة القادمة غاية في الخطورة؛ نريد أن تشهد الغابة بأكملها كم الظلم الذي يتعرض له الذئاب على يد تلك الخراف.

ثم يختفي الصوت.

وأثناء عودة ذلك القرد لرفقاء الغابة كان يفكر في الكيفية التي يستطيع بها تنفيذ الأمر الصادر له.

وهناك في شرق الغابة، كان أحد الخراف يسير ببطء شديد؛ فهو لا يقوى على السير لقلة الطعام والشراب، فاخذ يستند بجسده إلى تلك الجدران الخشبية التي تحيط مستعمرات الذئاب، فانكسر جزء من الجدار، فأخذت الذئاب في العواء والخروج من مستعمراتهم ليجدوا الخروف أمامهم لا حول له ولا قوة، فهجموا عليه ومزقوه إربًا، ثم وقفوا أمام الجدار يتباكون، وحضرت باقي الحيوانات تواسيهم وتحت أرجلهم يدهسون جسد الخروف، أصبح ذلك المشهد محفوظًا ومتكررًا ومصدر بكاءٍ يكاد يحدث بصفة دورية.

أصوات متداخلة وتدافع نحو الخراف، وسماع هجمات...

سكَت، ودي بداية موته، وطالما سكَت

سلبوه حقوقه من خوفه وسكَت

وقبل موته انداس بالمداس وسكت

وبعد موته برضو انداس وغيرُه سكت

يا اللي سكتت هتنداس

وصدقني هتشرب بكره من نفس الكاس
وهنقول عليك: أصله إمبارح سكّت
وإحنا ساكتين مستنيين إمتى ننداس
وهما ساعتها هيقولوا: أصله سكَت.
بعيدًا يقف الحمار وحيدًا
يوم ما تغمَّض وتداري عينك، وكان هَم جارك مش همَّك، بكره هييجي لك همَّك ومش هتلاقي حتى أخوك جنبك.
يجمع القرد الحيوانات ويبث سمومه في آذانهم موضحًا لهم أن هذه هي بداية المؤامرة، ولا زالت الذئاب حتى يومنا هذا لا تنعم بالسلام في أرض أجدادها، وأن الخراف أصبحوا أشد عداوة وخطرًا على هذه الذئاب الضعيفة.
صوت ضحكات مجهولة المصدر تُجلجل في الغابة فينحني القرد في وقار واحترام.

.....

دخل أستاذ شقنقيري مكتبه، ورغم كمية الغبار الهائلة إلا أنه تظهر عليه الفخامة، توجه الأستاذ إلى مكتبته وأخرج بعض الكتب منها، وهناك رأى صورة زوجته فأمسكها وألقاها في سلة القمامة، ثم حزم كتبه وغادر المكتب.

في أحد النوادي جلس زكريا ونيرمين التي يظهر على ملامحها الخجل، ابتسم زكريا لأن نيرمينته كما هي منذ أن تركها حتى عاد إليها، وقبل أن يهم بالحديث عن حياتهما القادمة اقتحم مجلسهما شاب ونظر إليها معاتبًا إياها أنها رفضته أكثر من مرة من أجل هذا المجرم خريج السجون. جحظت عيناها خشية رد فعل زكريا، ولكنه كان هادئًا جدًا.

زكريا: نيرمينتي الغالية، أيام قلائل وستتزوج أميرتي فوزية وبعدها نحدد موعد زفافنا، فكفانا ما مرَّ من عمرنا. (قال ذلك ثم نظر للشاب قائلًا: صدقني، مش هنسى أدعيك للفرح).

ثار الشاب وهاج وماج محاولا تهديده والوعيد له، إلا أن زكريا لم يلتفت له، بل إنه طلب من النادل أن يحضر لهما عصير الليمون. غادر الشاب غاضبًا، وحاولت نيرمين أن تلوم زكريا على أسلوبه معه، فتبسَّم زكريا موضحًا لها أنه بالفعل يعذره فنادرًا ما يلتقي الشاب بفتاة ساحرة، فإن كان هناك لوم فاللوم كل اللوم على سحر عينيها. تبسمت نيرمين وهربت بعينيها من نظرات زكريا.

عاد زكريا إلى فيلته بعدما أوصل نيرمين ليجد وجدي في انتظاره للتحضير لترتيبات الفرح من أخته فوزية، وبالفعل تم الاتفاق على كافه التفاصيل وتحديد موعد الزفاف والحضور والتجهيزات، ثم غادر وجدي فصعد زكريا إلى غرفه والدته ليطمئن عليها ويخبرها بما تم الاتفاق عليه، وقبل أن يطرق باب غرفتها سمع صوت جاسمين تتحدث معها فوقف احترامًا حتى لا يقطع حديثهما، فتنامى إلى مسامعه كلام جاسمين وهي تطلب من والدتها حقها في الميراث حتى تستطيع مباشرة أعمالها والانتفاع بالأرباح، فها هي فوزية ستتزوج ومن بعدها زكريا وكل ما تخشاه أن يطول مكوثها بلا زواج فتبقى وحيده بلا سند أو معين لها في الحياه.

في غضب اقتحم زكريا الغرفة ليجد والدته ترفع يدها لتضربها، ولكنه أمسك يدها وقبَّلها ثم نظر إلى أخته ففهمت أنه قد سمع ما قالته، فحاولت الحديث لتبرر له ما قالت، إلا أنه وضع يده على فمها.

سكتت منتظره ردَّ فعله لكنه كعادته لا يبالغ في ردة الفعل، ولكنه فقط أمسك رأس أخته وقبَّلها واحتضنها، وكذلك احتضن أمه ليهمس لها:

زكريا: كل حاجة مكتوبة باسمكم أنتِ وأختك، والشركة الجديدة أيضًا باسمكما، أنا فقط موظف أتقاضى راتبي ومن راتبي هذا تصرفون، أمَّا أموالكما فهي في خزانة المكتب ومعها كشف حساب منذ أول يوم توليت فيه المسؤولية وحتى اليوم (سالت دموع جاسمين وعلا نحيبها).

في تلك اللحظة دخلت فوزية لتجدهم متحاضنين فسرت الغيره في دمائها فانطلقت لتلقي بجسدها في حضن أخيها، بل وقامت بدفع أختها لتحتل مكانها، تدافعتا وكأنهما طفلتان، فضحك زكريا وأمهم وأخذوا يباركون للأميرة فوزية وروى لهن زكريا اتفاقه مع وجدي، فأخذت الأم فوزية بعيدًا عن إخوتها ووقفت جاسمين أمام أخيها وهي تشعر بالخجل قائلة:

جاسمين: أقسم بالله ما قصدي حاجة.

زكريا: مش محتاجة تقسمي، أنا فاهم كويس قصدك، ووعد مني عمري ما هتأخر عنك في أي طلب أو أي لحظه تحسي إنك محتاجاني فيها.

في الصباح كانت رباب أول من وصل الشركة، فوضعت حقيبتها وصنعت قهوتها وذهبت لمكتب محمود وأغلقت الباب وأخذت سيجارة من مكتبه وأشعلتها وهي تجلس متخيلة محمود أمامها تتحدث إليه:

- صدقني كان إحساسًا صعبًا جدًا أن تجد طفلة مُطالبة بأن تربي طفلة أخرى وغير مسموح لها أن تلعب مثلها بعروسة ولا أن تنزل الشارع، ضحكوا عليَّ بكلام معسول؛ زواج، سترة، بيت لكِ وحدك، لكن المسؤولية وحقوق الزوج وأعباء منزل و. و. و كلهم سكتوا وتركوني أكتشف كل ذلك وحدي وما رأيت سوى الغل والغصب، تدمرت طفولتي وماتت براءتي، وكان همي وشغلي الشاغل أن أسأل أبي: كم قبضت ثمنًا لبيعي، وهل كان المال كافيًا لإخوتي أم أضعته على ملذاتك؟ آسفه أستاذ محمود، أزعجتك بقصتي، لكني كنت أتمنى أن أقصها عليك وتسمعها.

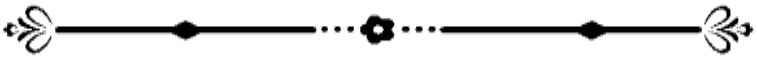

سمعت صوتًا يرد عليها من جانب المكتب:

- لا تحزني؛ فأنت على الأقل تعرفين والديك وتعرفين إخوتك.

انتفضت وسقطت القهوة من يدها لتجد محمود أمامها، فهو منذ أمس يفترش المكتب وينام فيه.

ورغم أنها كانت تتمنى أن يسمع قصتها إلا أنها لم تكن مستعدة لذلك نهائيًا، خاصة أن يعرف أنها تدخن، ومن سجائره الخاصة. ومع ذلك، لم يتحدث محمود عن ذلك، بل ذهب لحمام مكتبه وبدَّل ملابسه وجاء ليجلس معها ليخفف عنها ما هي فيه، ثم أخذ يقص عليها ما مرَّ به في حياته.

.....

حضر عادل إلى المكتب في عجلة من أمره وكأنه يريد اللحاق بموعد هام، ولكن كل الأمر أنه كان يفكر في روايته ولا يريد ان ينسى، فحضر لمكتبه مهرولًا ليمسك بالقلم ويكتب..

ظلت تلك النعجة وحيدة طريدة، وكان من الحين للحين يذهب لها مِريَاع القطيع ليطمئن عليها ويقسم لها أنه يثق تمام الثقة في نقاء سريرتها، ولم ولن يصدق أبدًا أنها تخونه، ولكنه طلب منها أن تتودد للذئاب لعلهم يساعدونها في العودة للقطيع. ذُهلت من ذلك الطلب وتساءلت: كيف

يحدث هذا الأمر؟ وما دخلهم هم بشؤوننا الداخلية؟ فتبسم لها وطلب منها أن تفعل ما طلب وستعود قريبًا.

اجتمع الذئاب ومعهم القرد، كانوا جميعًا يروون له ما حدث، ويحكون كيف تجرأ ذلك الخروف عليهم وتعدى على أملاكهم. وهنا طلب القرد من باقي الحيوانات أن يجتمعوا وعرض عليهم الأمر، فوصف الذئاب لهم حجم ما تكبدوه من الم نفسي وخسائر فادحة من جراء ما حدث.

وقف الحمار متسائلًا:

- كيف يتعدى عليكم وكل ما يتمكن منه هو كسر لوح خشبي واحد؟

والسؤال الأهم: ماذا حدث لذلك الخروف؟

تباكت الذئاب وصبّوا جام غضبهم على ذلك الحمار الذي يكذِّبهم ولا يشعر بمعاناتهم، بل إنه يهتم بشؤون الخراف فقط ولا يبالي بباقي حيوانات الغابة.

طالب القرد بإنهاء الاجتماع موجِهًا إنذارًا شديد اللهجة للخراف لتحذيرهم من أي تعدٍ آخر على هذه الذئاب المستضعفة وإلا سيكون رد الفعل القادم أشد قسوة.

أصدر الحمار نهيقًا متتاليًا.

.....

وقفت رباب وعيناها باكية غير مصدقة أن أحد أصحاب الشركة ما هو إلا لقيط لا يعرف له أصل أو نسب، فاستأذنت وخرجت الى مكتبها لتجد شخصًا جالسًا فسألته عن سبب تواجده، فعرَّفها أنه الأستاذ شقنقيري. تصادف هذا مع دخول زكريا إلى الشركة فالتقى به واصطحبه معه إلى مكتبه بعد أن عرَّف رباب أن الأستاذ هو المستشار القانوني للشركة منذ اليوم.

طلب زكريا من رباب أن تستدعي عادل ومحمود إلى مكتبه للترحيب بالأستاذ ففعلت ذلك.

استغل محمود الفرصة وقدَّم أوراق المناقصة التي ستتقدم بها الشركة، لكن زكريا طلب منه التصرف في ذلك الأمر، وبالفعل أزال محمود الملف ممنيًا نفسه بالتوفيق، وانتهى الاجتماع، ثم حصل الأستاذ على مكتبه الذي اعتنى جيدًا به فقام بوضع كتبه بعناية شديدة وتفرَّغ تمامًا للقراءة والاطلاع واستعادة ذاكرته وتنشيط عقله من جديد.

مرَّت أيام قلائل وذهب محمود إلى الوزارة ليستفسر عن المناقصة ليطمئن أن العطاء سيرسو عليهم، فالمشروع كبير وهم في بداية الطريق وسيكون ذلك علامة فارقة معهم كثيرًا. التقى مسؤول الوزارة به مع غيره من أصحاب الشركات وشكرهم على تقديم عطائهم واهتمامهم بذلك المشروع، أحد أصحاب الشركات حين علم بأن شركة زكريا تقدمت هي الأخرى للمشروع لمعت عيناه وانفلتت منه ابتسامه مكر ودهاء.

كان زكريا في الشركة يؤكد على الجميع الحضور غدًا لحفل زفاف أخته والجميع يؤكد على الحضور.

كان محمود في شقته يرتدي ملابسه للحاق بصديق عمره في أحد أهم أيامه، فيجب عليه أن يكون بجواره في فرحته، وعندما همَّ بفتح الباب سمع طرقًا شديدًا عليه ولمَّا فتحه وجد ضابط شرطة وبعض العساكر أمامه يريدون اصطحابه للقسم مباشرة.

بدأ العرس والجميع يشعر بفرحة كبيرة إلا زكريا، فقد كان قلقًا ويشعر بالاضطراب؛ فهو غير مصدق أن صديق عمره يتخلى عنه في مثل ذلك اليوم لمجرد أنه تقدَّم لطلب يدها ولم يتم الأمر. حاول أن يبعد ذلك الفكر عن عقله ويدعو ألا يكون صديقه في مكروه، فالغضب هيِّن وقد يتلاشى، لكن المكروه أشد قسوة على النفس. وجد أمامه الأستاذ فجرى عليه مرحِّبًا به وبثَّ له مكنون صدره وخوفه على صديقه، فاستأذن منه الأستاذ وغادر عازمًا الذهاب إلى منزل محمود، فعرف من الجيران ما حدث، فانطلق للقسم مسرعًا وعند باب القسم وقف مترددًا ما بين الدخول بين ذكريات تطارده، ولكنه نفض الغبار عن فكره سريعًا ودخل ليسأل عن محمود، فوجده يجلس بجوار أحد الحوائط مكبَّلًا، فساله عما حدث ولكنه أخبره أنه لا يعرف شيئًا، فكل ما يعرفه أنه سيُعرض على النيابة العامة في صباح الغد، طمأنه الأستاذ أنه سيكون معه وخرج سريعًا واشترى له طعاما وسجائر

ووضعه أمامه ثم عاد إلى زكريا فوجد أن الفرح قد تمَّ سريعا لارتباط الزوجين بموعد سفر فانطلق نحو زكريا ليخبره بالأمر.

سمع زكريا ما حدث وعرف من الأستاذ أن تهمته الرشوة، فحزن كثيرًا لما حدث، وأخذ يلوم محمود أنه أقدم على ذلك الفعل، ولكن الأستاذ أوضح له أن محمود لا يعرف حتى الآن تهمته وأنه يشك في أن محمود يمكن أن يكون قد فعل ذلك. خجِلًا حاول زكريا أن يعرض عليه أن يُحضر معه محاميًا آخر ليساعده، ولكنه رفض ذلك تمامًا.

في الصباح كان الجميع في النيابة، حضر محمود وذهب معه الأستاذ للسيد وكيل النيابة وواجهه بوجود ظرف يخص الشركة به مبلغ مالي كان قد تركه على مكتب مسؤول الوزارة حتى يسهِّل له أمر المشروع لتفوز به شركته. رأى محمود الظرف وتذكَّر أنه كان يبحث عنه وكانت به بعض الأوراق الخاصة، فمن أين جاءت تلك الأموال؟

سُئل عن شركائه لو أن أحدهم قد شاركه في هذا الأمر، فنفى محمود عنهم علمهم بأمر المناقصة وأكد أنه وحده المسؤول عن ذلك الملف. حاول الأستاذ جاهدًا أن يخلي سبيله إلا أن القرار صدر بحبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق، وسريعا عاد إلى الشركه وأحضر رباب لمكتبه وطلب منها أن تقدم على طلب إجازة عاجلة وتتفرغ فقط لما سيطلب منها.

تحقيقات وأيام ثقيله تمر على محمود، كان زكريا فيها قد اقترب من الجنون وعادل في حالة حزن شديد، ظل أملهم متعلقًا في الأستاذ. وأخيرًا حان

موعد المحاكمة، كان الجميع متوترًا جدًا؛ فزكريا يخاف على صديقه والأستاذ لا يصدق أنه عاد لساحه المحاكم من جديد.

داخل قاعة المحاكمة ومع دخول زكريا وجد أمامه ذلك الشاب الذي رآه من قبل مع خطيبته نيرمين في النادي وتعامل معه وكأنه نكرة، رآه وكانت على وجهه تلك البسمة التي تحمل المكر والدهاء اللذيْن ظهرا عليه حين علم بوجود شركة زكريا.

بدأت الجلسة فأبدت النيابة العامة طلبها، ثم وقف الأستاذ ليبدأ المرافعة.

نقدم للهيئة الموقَّرة شاهد نفي والذي جاءت شهادته بأنه كان بجوار محمود في ذلك اليوم وسأله إن كان ذلك الظرف الذي بيده يخص مناقصة جديدة لا يعلم عنها شيئًا، فقدم له المظروف ووجد به ورقتين فقط ولم تكن بالظرف أي مبالغ مالية نهائيًا. فوقف موظف الوزاره صارخًا بأنه كاذب، فطلبت منه المحكمة الجلوس وعدم إصدار صوت مرة أخرى.

تقدم شقنقيري من المنصة مقدمًا لها صورًا لذلك الموظف في أحد المقاهي يأخذ ظرفًا من شخص ما، وصورًا أخرى وهو يقوم بوضعها بداخل الظرف، وبالبحث عن صورة الشخص وجدوا أنه السيد أحمد النجار، وبالعودة للوزارة لمعرفة نتيجة المناقصة نجد أنها قد رست على شركه النجار، وللمفارقة أن الراشي والمرتشي كلاهما بالفعل داخل القاعة.

حاول الموظف الهرب فمنع القاضي خروج أي شخص من القاعة وحكمت المحكمة ببراءة المتهم وكذلك التحفُّظ على كل من الموظف وأحمد النجار وإحالتهما للنيابة لتحقيق معهما فيما نُسب إليهما.

خرج محمود أخيرًا من تلك الأزمة العابرة واحتفى به الجميع، ووقف الأستاذ يشكر رباب على ما فعلت، فلولاها ما انتهت تلك القضية إلى ما انتهت إليه. علت الدهشه ملامح الجميع وخاصة محمود، فتدارك الأستاذ الموقف سريعًا وأخذ يوضح دور رباب في مراقبة الموظف وكيف قامت بتصويره بعدما ساعدها في الحصول على الكاميرات المناسبة، ورغم ذلك وقفت رباب لتتقدم له بالشكر؛ فهو العقل المدبر لكل ما حدث، ثم وجهت كلماتها للسادة الشركاء الذين انتشلوها من الضياع، بل إنهم قدموا لها أكثر مما تستحق لأن ما قدمته للأستاذ محمود كبير جدًا، وفي الأخير توجه الجميع بالشكر للأستاذ على براعته في إدارة تلك الأزمة التي كادت تطيح بسمعة الشركة في بدايه طريقها.

وأثناء اجتماعهم انطلق هاتف المكتب فأجابت رباب، ثم أعقب ذلك لحظات صمت لتنطلق بعدها فرحة هستيرية لأن الوزارة اختارتهم كي تُرسي عطاء المناقصة على شركتهم. قفز الجميع فرحًا بذلك الخبر ماعدا زكريا، ولكنه لم يضيع عليهم فرحتهم، فصمت حتى صمتوا ثم انطلق ليوزِّع مهام المشروع على الجميع، فذلك المشروع ليس هو النجاح، بل النجاح أن تكون هذه هي البداية لسمعة جيده للشركة، فيجب أن يتم

التسليم دائمًا قبل المواعيد، ويجب أن تكون المواصفات أعلى مما تم الاتفاق عليه، فليس المهم الربح المادي بقدر الربح المعنوي، فيجب أن تولد الشركة عملاقة، وبالفعل أقسم الجميع على ذلك.

كان عادل في منزله يحاول مساعدة جليلة في أعمال المنزل، لكنها رفضت ذلك تمامًا وطلبت منه أن يذهب لغرفة مكتبه وأن يهتم فقط بكتاباته.

ثم فجأة تغيرت ملامحها وأمسكت ببطنها، شعرعادل بالخوف عليها، ولكنها طمأنته، وأخبرته أنها ربما أصيبت ببرد في المعدة، ورغم ذلك أصر على اصطحابها إلى الطبيب للاطمئنان على صحتها، وهناك عند الطبيب وبعد إجراء الكشف عليها أخبرهما أن جليلة حامل.

وبعد عودتهما إلى المنزل وفرحتهما بهذا الخبر ذهبت جليلة لتنال قسطًا من النوم، واختلى عادل بنفسه في غرفة مكتبه فصنع لنفسه كوبًا من القهوه وجلس يكتب...

.....

وحدها جلست النعجة طريدة تبكي حالها، فجاء لها ذلك الذئب مرة أخرى، اقترب منها محاولًا مواساتها، ولكنها انفجرت باكية تشكو وحدتها، فما كان من الذئب إلا أن استغل الفرصة جيدًا، فعرض عليها أن يساعدها في العودة إلى القطيع على أن تساعده في كل ما يطلبه منها، فوافقت على طلبه دون تردد.

وسط تجمُع الخِراف وقف ذلك الخروف الخائن ليبث لهم خوفه من أن يتم استغلال النعجة من قِبل الذئاب، ونصحهم أن يكون لديهم شيء من التسامح، فليس المفروض على كل من يخطئ أن يُقتل، بل يكفيها ما لاقت خلال الفترة السابقة.

هنا وقف المرياع مبتسمًا؛ فها هو ذا ذلك الخروف الخائن عاد بتعليمات أسياده من الذئاب ليطالب بعودة النعجة لتكون عونًا لهم، الآن اتضحت ملامح اللعبة؛ فقد عمل معهم على تجويع الخراف حتى يلجأ له أصحاب القلوب الهشَّة والضمائر الهينة ليقدمهم لأعدائهم الواحد تلو الآخر دون أي جهد أو عناء.

هكذا جهر المرياع بالصوت: نعم، نِعم الرأي السديد رأيه، فكما كشف لنا فعلته النكراء، إلا أنه لا يتخلى أبدًا عن أبناء قطِيعه، فهذا القلب الطيب يجب أن يكون مثالًا يُحتذى به، وإنه كقائد القطيع يقبل بعودة النعجة مرة أخرى مع عدم تذكيرها نهائيًا بما مضى، بل تعود وكأنها لم تغِب يومًا عنا.

وهكذا عادت لحياتها السابقة من جديد وتم الترحيب بعودتها، وحين اختلت بالمرياع قصَّت عليه ما كان بينها وبين الذئب فشجَّعها أن تستجيب له في كل ما يطلب منها ولكن بعد الرجوع لهم، وهنا قامت النعجة بشرح كافة الطرق للوصول لقيادة الذئاب وكيفية تأمينها وأماكن حفظ مخزونهم وفائضهم، فاحتفظ المرياع بكل ما قيل له وأخذ يجمع حوله القليل من الخراف ذوات القوه والثبات.

.....

ترك عادل قلمه وتوقف عن الكتابة قليلًا وشرد فكره؛ فماذا لو سيطرت الحيوانات فعليًا على الكون وأخضعت لها الإنسان؟! وهنا تذكَّر الكاتب قصة قصيرة كان تركها قديمًا كان قد أسماها "حدائق الإنسان" وأعاد قراءتها فوجدها مناسبة للأحداث التي تحدث في الغابة، فقرر أن يضم القصة لروايته. فجأة سمع عادل صوت جليلة من الداخل، فهرع إليها فوجدها تقص للجنين قصة فسقط ضاحكًا.

كان محمود في الشركة يجِد ويجتهد لينفذ عمله على أكمل وجه ممكن، فوجد رباب تدخل عليه مكتبه وبيدها قهوة تضعها أمامه، نظر إليها ثم نهض ليشكرها رغم محاولاتها تبسيط الأمر لكونها قهوة فقط، ولكنه

أوضح أن شكره لها على ما فعلته من أجله في أزمته الماضية وكيف أنها استطاعت أن تكون سببًا في إثبات براءته. وكعادتها قلَّلت مما فعلت لحد إهدار قيمته ونسبت الفضل للأستاذ شقنقيري. ارتشف محمود القليل من القهوة فمدَح ما صنعت يدها، نظرت رباب لعين محمود لتسأله مباشرة عن سبب عزوفه عن الزواج؟ حاول محمود تغيير موضوع الحديث، لكنها أصرت أن تسمع إجابته. لمعت عينه وأوضح أنه ليس بعازف عن الزواج، ولكن من الصعب أن يجد من ترضى بحاله وماضيه، فهو شيء لا يفارقه ككابوس لا ينتهي، اقتربت منه رباب وقالت له: أنا أقبل بك وبحالك الحالي وماضيك.

تغيرت تعبيراته بين الوجوم والفرح، نعم فرح لأن هناك من ستقبل به، وفي ذات الوقت تساءل: لماذا يقبل بثيِّب وتنسب إليه بنت ليست من صلبه ليكون مسؤولًا عنها وعن تربياتها؟ وماذا إن ظهر والدها بعد أن يتعلق بها وطلب ردَّ ابنته التي من صلبه له؟ من سيمنعه؟! بث محمود كل هواجسه تلك لرباب فتحملت مرَّ الحديث وصمتت وكان دمعها أبلغ رد على ما سمعت.

طلب عادل عقد اجتماع طارئ مع شريكيه بحضور مدير الشؤون القانونية، استعجب الجميع من ذلك الأمر، وفي الاجتماع زفَّ لهم عادل البشرى بأن العمل في تقدُّم ملحوظ وأنهم سبقوا المخطط الزمني

للمشروع، وهو ما جعل الوزارة على ثقة تامة بعملهم، فقامت بإسناد مشروعها الجديد للشركة إسنادًا مباشرًا وبأرباح تفوق أضعاف أرباحهم من المشروع الحالي، وأنهم أرسلوا لهم العقود لتتم مراجعتها قبل الاجتماع القادم معهم لتوقيع العقود، تهللت أساريرهم وفرحوا جدًا، وقرر زكريا صرف مكافأه لكافه موظفي الشركة فعمت الفرحة الجميع. وهنا اقترح محمود أن يتم احتفالهم في المقهى كما اعتادوا؛ فهم في شوق لتلك الجلسة وكان رابعهم الأستاذ الذي رحب بذلك الاقتراح جدًا.

لكن طامة كبرى شعروا بها جميعًا لحظة وصولهم للمقهى، فالوجوه واجمة والأصوات مختنقة والعيون زائفة، جميع قاطني المنطقه كأنهم من الأجداث ينسلون، فالكل يسرع إلى لا شيء، شاخصة أبصارهم تعتليهم الدهشة، فلا هم يتحدثون ولا هم مدركون لما يحدث، ولكنهم رغمًا عنهم صامتون.

كما أن هناك وجوهًا غريبة يرتدون أفخر الثياب ويتألقون بياقات قمصانهم البيضاء أيما تألق، فذلك يأمر وذاك يهدِّد ويتوعد وأهل المنطقة لا حول لهم ولا قوة، وقفوا يشاهدون ما يحدث في تعجب شديد حتى جاءت سيارة فارهة تحيطها من الخلف ومن الأمام سيارتان أخريان والجميع يحيط بالسيارة الوسطى التي ترجَّل منها شخص ما تخفي نظارته السوداء ملامح وجهه، وفوجئوا بالمعلم بركاني ينطلق عدْوًا نحوه لينحني أمامه ممسكًا بيده ليقبلها، وذلك الشخص يمسح بيده الأخرى فوق رأس بركاني وكأنه يلاطف حيوانه الأليف. خلع هذا الشخص نظارته ليجدوه أمامهم، إنه

الشاب عنتر، فبُهتوا جميعًا مما رأوا، لقد عاد لينتقم من الجميع، فبدأ يشتري كامل عقارات منطقته القديمة وهناك من قبِل وباع وهناك من حاول أن يرفض، ولكنه أُجبر وباع، وهناك قلائل يرفضون.

من يرفضون البيع ليسوا ضد عنتر أو غيره، أو يرفضون البيع لمجرد الرفض، أو أنهم يرفضون مقابل الحصول على المزيد من المكاسب، لا، هم فقط رافضون للطمس. نعم، إنهم يرفضون طمس التاريخ وعبق الماضي، فهنا عاش من صنعوا جزءًا من تاريخ تلك الدولة، هنا عمارات ومبانٍ زينت شوارع العاصمة حتى نالت جائزة المدينة الأجمل في العالم، هنا الماضي الممزوج بالحاضر، وهنا الشاهد على التاريخ، فلا يمكن أن يُترك سُدًى أو أن يعطوه لمن يريد أن يطمس التاريخ بأن يدَّعي الحداثة فيُحدِث انفجارًا سكانيًا. اتركوا الماضي، وها هي الصحاري والمناطق النائية عمِّروها واصنعوا بها ما شئتم، لكن لا تهدروا التاريخ؛ فالإنسان بلا تاريخ كالهشيم تزروه الرياح، والممسك بتاريخه كمن يتمسك بجذوره فلا تقتلعه الريح وإن عصفت.

تقدم الثلاثة نحو عنتر ووقفوا أمامه في ثبات، فترك رأس بركاني واقترب منهم مرحِّبًا بهم، تقدَّمهم زكريا ليعترض على ما يفعله عنتر، فضحك منه ساخرًا متسائلًا: ولمَ الاعتراض؟ أتعترض على مشيئة الله حين يرزقني وينتشلني من الفقر والقهر والذل؟ أم أنك معترض على من باع ما يملك بكامل إرادته؟

هنا حاول محمود التدخل في الحديث، لكن عنتر عاجله بأنه سيعهد لشركتهم بتنفيذ ذلك المشروع بالكامل، فلمعت عين محمود وصار حديثه لينًا وخاطب عنتر وكأنه الحاكم بأمره، فنهره عادل ووقف أمام عنتر متحديًا له ومعلنًا أنه لن يتركه يفعل ما يريد، فتخطاه عنتر حتى وصل إلى الأستاذ مذكِّرًا إياه بأيام الشحاذة. حاول الأستاذ أن يتهرب منه، وتدخل زكريا ممسكًا بذراع عنتر ليجد الكثير من الحراس الشخصيين يُشهرون أسلحتهم النارية في وجهه، ورغم ذلك لم يترك يده، بل زاد من ضغطه عليها، فنظر عنتر لحرَّاسه كي يبتعدوا ويخفضوا أسلحتهم، وهنا قال له الأستاذ:

- للمال شهوة، وإن الغبي من تتملك منه شهواته. ثم تركوه جميعًا وغادروا.

وفي المنزل جلس عادل مع جليلة يروي لها ما حدث، فعَلتْها الدهشة وتساءلت كثيرًا عن ذلك الشاب عنتر وكيف تبدَّل حاله هكذا، ومن أين له بكل تلك الأموال.

وعلى الجانب الآخر كان عنتر في قصره يختلي بذاته، فأخذ يتجول في غرفة المكتب حتى وقف أمام صورة زفاف قديمة لوالديه للحظات، شرد فكره وتذكَّر ما كان وكيف ولد في فقر مدقع، فكان قليلا ما يجد ما يسد به جوعه وكثيرًا ما كان يربط على بطنه من شدة الجوع، فنظر في عين والده يلومه على زواجه من والدته، ولماذا وهم في هذه الحالة فكَّروا في الإنجاب ليأتوا به إلى

تلك الحياة القاسية. وفي شروده شعر وكأن يدًا وُضعت على كتفه، وسمع صوتًا وكأنه قادم من مكان سحيق يقول له: لا تلُمني يا قرة عيني؛ فالقدر محتوم، وسُنة الحياة الزواج. لقد تزوجت والدتك وأنجبناك وشقيت لأوفر لك الطعام والملبس، وتقبلت إهانه الآخرين حتى لا تجوع، وجاهدت لتتعلم، وها أنا قد أتممت رسالتي وغادرت. ثم شعر بيد أخرى توضع على كتفه الثانية وصوت آآخر يقول له: كنت جائعة وأرضعتك، أصنع لك طعامك وأحرِّم على نفسي تذوّقه، تنام مبتسمًا ودمعتي لا تنقطع، واليوم تلومنا أننا أنجبناك؟! الحياة اليوم تنصب لنا الميزان لتحاسبنا، بل حاسب ذاتك يا صغيري قبل فوات الأوان، نحن سبب وجودك، فكن شاكرًا، فمن دوننا ما كنت أنت.

ليتني ما كنت، وليتكما ما كنتما، أشكركما على أنكما السبب في ذُلي وهواني على الناس، أشكركما على أنكما السبب في جعلي كلبًا ينبح عند من يملك المال. يعود الصوت الأول مرة أخرى للرد: والآن أصبحت أنت السيد، فاصنع ما شئت. ضحك عنتر ضحكة تُسمع القاصي والداني، ثم يُفتح الباب ليدخل ذات الرجل الذي اشتراه من بركاني من قبل، فانتبه عنتر له وقام في صمت لينحني أمامه مقبِّلًا يده.

الرجل: هل عرفت الآن أن المال سطوة وزهوة؟ أرأيت ماذا يفعل المال بمن يملكه؟

عنتر: نعم عرفت ورأيت، ولكنك أنت ولست أنا مالكه.

الرجل: اليوم أنا وفي الغد أنت؛ فذلك ميراث من يبحث عن شهوة المال، وجميعنا مررنا بما مررت به أنت، وغدًا ستفعل نفس ما فُعل بك.
أفاق عنتر من شروده ليجد نفسه وحده في غرفه المكتب أمام الصورة، فصرخ بصوت جهوري مناديا حرَّاسه ليسألهم عن عدم سماعه صوت نباح كلابه.

كانت جليلة تقف وتطلب من عادل التفكير في روايته ومحاولة الانتهاء منها في أقرب وقت رغم أنها ترى أن الواقع الآن أصبح أصعب من أن يوضع بين دفتي دفتر أو أن تتحمله الأسطر وتسرده الأقلام.

.....

غضبت الخراف لما حدث لأحد أفرادها، فخرجوا جميعا يهاجمون الذئاب حتى كسروا الحاجز الخشبي ومزقوا الزراعات، فتجمعت الذئاب وهاجموا الخراف هجومًا شرسًا، ففعلوا بهم الأفاعيل وأبادوا الخراف جميعًا لولا أن المرياع استطاع أن يهرب وأخذ معه صغيرين من الخرافو، وأثناء هروبه وجد تلك النعجة تهرب هي الأخرى؛ فقد ساعدها ذلك الذئب على الفرار، وهنا قرر المرياع أن يحمي هؤلاء الصغار وإن كلَّفه ذلك عمره كله.

ورغم تلك المذبحة الدامية إلا أن الذئاب خرجوا يتباكون ويلومون شركاء وطنهم على ما فعلوا، وأخذوا يتساءلون عن باقي الخراف، أين هم؟ ولماذا تركوا ديارهم ووطنهم؟

يقوم المرياع بحفر نفق صغير تحت الأرض يخفي به الصغار ويختبئ معهم وكذلك تلك النعجة.

وعلى الجانب الآخر أخذ الذئاب في هدم مآوي الخراف وأزالوا كل أثر لهم كان في وطنهم وظنوا أنهم سيظلون إلى الأبد هم من يحكمون الأرض وما عليها.

.....

في اجتماع وزاري يحضر الشركاء ومعهم الأستاذ لتوقيع عقود المشروع الجديد، وبالفعل يتم التوقيع وسط فرحة الشركاء وكذلك فرحة الأستاذ حين تمت الاستجابه لكافة التعديلات المقترحة على العقود، لقد شعر أخيرًا أنه عاد إلى الحياة من جديد.

وفي طريق عودتهم اقترح عادل عليهم إسناد جزء من المشروع لشركة أخرى حتى لا يثقلون على أنفسهم، وكي يتمكنوا من تسليم المشروع السابق ويتفرغوا للمشروع الجديد، وبذلك يظهرون أمام جهة الإدارة بأنهم قادرون على تنفيذ أي عدد من المشروعات دون خلل أو عجز في أي مشروع منهم وهو ما لاقى قبول الجميع. وبالفعل مع وصولهم للشركه قام

عادل ببعض الاتصالات مع عدد من الشركات، وكانت مفاجأة كبرى لهم بأن الجميع يرغب في العمل معهم. وبالفعل وقع الاختيار على إحدى الشركات وحدَّدوا موعدًا لحضور رئيس مجلس الإداره لمقر شركتهم لمناقشة الاتفاق بالكامل.

كان محمود في مكتبه فاستأذنت رباب في الدخول، فسمح لها، وضعت أمامه ملفًا به عدد من الأوراق ليقوم بالتوقيع عليها، فبادرها بالسؤال عن أحوال ابنتها وأحوالها، فحمدت الله على كل حال واقتضبت في الحديث لأقصى حدٍّ ممكن مما دفعه للاستفسار عن السبب، فقالت بثبات إن حدود العمل لا تسمح لها بأكثر من ذلك، فهو رب العمل وهي تعمل عنده، ولا يمكن أن يتعدى الحديث حدود ذلك. استنكر قولها ونهض ليقف أمامها ومدَّ يده ليعطيها سيجارة ولكنها رفضت، فأشعل سيجارته ثم عاد لجلسته الأولى وقام بتوقيع الأوراق وأعطاها الملف لتخرج.

سُمعت جلبة في الشركة، فقد وقف عادل يجهر بالصوت مرحِّبًا بجاسمين. خرج محمود وزكريا والأستاذ من مكاتبهم والجميع فرح بحضورها، وفي لحظة عابرة سرقت جاسمين نظرة نحو محمود معتقدة أن أحدًا لا يراها، ولكن رباب بحسِّها الأنثوي شعرت أن تلك النظرة تحمل بين طياتها مشاعر خفيَّة، وظنت أنه لا يهتم بها ولا يريدها لرغبته في أخت شريكه، فانزوت عن الجميع وكأنها تهتم بعملها. ظن محمود أن رباب قد اتخذت قرارها بعدم تواجدها في مكان هو فيه فشعر أن مشاعرها قد تبدلت نحوه.

دخل الجميع إلى غرفة الاجتماعات للاحتفاء بضيفة الشركة، ولكن زكريا رفض تمامًا ذلك القول، فهي ليست ضيفة على الشركة، بل أكدَّ أنهم هم الضيوف في شركتها. ضحكت جاسمين وشكرت أخاها على تلك المجاملة، وقبل أن يرد طرقت رباب الباب وولجت لتخبرهم بحضور أفراد الشركة للاجتماع. علت الدهشة وجه عادل؛ فموعدهم في الغد! سمح زكريا لرباب بإدخالهم ومع دخول السيد رئيس مجلس الإدارة وسكرتيرته ومحامي الشركة، ووقف الأستاذ شقنقيري مذهولًا؛ فتلك السكرتيرة هي خطيبته الأولى، وذلك هو من سرق منزله بواسطه طليقته، فشعر للحظات بأن الأرض تميد به وأن الماضي يطارده ولن ينجو منه أبدًا.

ألقو التحيه وتقدم الضيف نحو الأستاذ وأمسكه من كتفيه ثم احتضنه حتى كاد أن يبدل أضلاعه وأقسم له أنه لم يشك به للحظة وهذا ما قاله بالتحقيقات. ربَّت الأستاذ على كتفه وشكره على نُبل أخلاقه ودعا الجميع للجلوس بعد التعارف، ثم وقف يستعرض المشروع والمهام الموكلة إليهم، وما الذي ترغب فيه شركتهم تحديدًا. وقف الضيف قائلًا: إنه هو وكل إمكانيات شركته منذ تلك اللحظه تحت أمر الشركاء والأستاذ، وأنه متنازل تمامًا عن أي ربح من ذلك المشروع.

"وماذا عن الظلم الذي تعرضت له أنا منه؟! أنت تعوِّض الأستاذ عَّما تعرض له من ظلم، فماذا عني وعما حدث لي على يده؟! فالأستاذ ظلمني وأساء لسمعتي رغم تأكده من براءتي، ولكنه طعن قلبي بكل برود." هكذا قالت

خطيبة الأستاذ السابقة، ولكن الأستاذ لم يتردد للحظة في الرد عليها قائلًا: إن هناك مواقف في الحياة يتعذر فيها الاعتذار عن الاعتذار لكونه لا يفيد، ونحن الآن أمام هذا الموقف الذي لا يفيد فيه الاعتذار، ولكني أشهد الله ثم أشهدكم جميعًا أن الأستاذه أسماء من أطهر وأنقى من قابلت في حياتي، وإنني أنا من أخذتني العزة بالإثم وخدعني غروري وتجنيت عليها وقلت فيها ما ليس فيها، فليشهد الله أنني في أشد أيام محنتي قسوة وضراوة كنت أدعو الله أن يزيد من محنتي حتى يقتص مني لما فعلته معها، وعلى يدها تعلمت دروسًا في الحياة لا تُمحى للأبد، ولها ولكم حريه الاقتصاص مني كما يتراءى لكم، ولن أرد حكمكم مهما كان.

نظر الجميع إلى أسماء منتظرين سماع حكمها، فقالت بثبات: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ويكفي ما حدث لك، فقد اقتص الله لي ولن يفيدني قصاصي لذاتي. وقف الجميع مبهورين بما يسمعون منها، وانهار شقنقيري على كرسيه جالسًا ودمع عينيه يفيض، فلو أنها اقتصت منه لكان أهون عليه من العفو عنه، فقد هزم أمامها وأصبحت هي من المتفضلين عليه.

ها نحن بأيدينا نثبت تلك الألواح بنثر الرحمة والتآخي لنصنع نعشًا نواري به سوءة الماضي لندفنه إلى الأبد، فالعفو عند المقدرة من شيم الكرام.

أخذ زكريا يعدِّد في مكارم أخلاقها والآخرون يهدئون من روع شقنقيري، ورغم نحيبه قال لها: إنه معتز كثيرًا بلقب الأستاذ الذي قبل اسمه، ولكنه اليوم شعر بأنه لا يستحقه أمام من لا زالت تعلِّمه.

هكذا مضى ذلك الاجتماع وانتهى وسط مودة ورحمة حتى بدأت الشركتان في تنفيذ مخطط الأعمال.

قام عادل لمكتبه وكان ما مرَّ أمامه من أحداث قد أثار بداخله الشجن، فأمسك بقلمه وأوراقه ليكتب ما يدور بخلده...

.....

هنا، في حدائق الإنسان، يُحبس الفرد داخل أقفاص شهوته؛ فهذا يشتهي المال، وذلك يشتهي إيلام الآخرين، ومن يتخذ له خليلًا ومن يجعل النساء دون تمييز شهوته، فتصبح الشهوة هي المسيطرة ويصير لها الفرد عبدًا. فحين تتفحَّل تلك الشهوات وتسيطر يصبح الفرد منا أقرب للحيوان، بل يصبح الحيوان في مرتبة أفضل من الإنسان.

فماذا لو ارتقى الحيوان وتدنَّى الإنسان؟ وماذا لو حُبس الإنسان داخل قفص شهوته وتجمعت تلك الأقفاص داخل حدائق تسمى بحدائق الإنسان، وتكون حدائق يدخلها الحيوان زائرًا ليرى الإنسان، ونجد داخل الحدائق تصنيفات بين آكلي اللحوم وغيرهم من آكلي الخضروات؟!

ينطلق هاتف الشركة بالرنين فيرد عادل ليجد جليلة تخبره بأنها حضرت غداء له ولشركائه وكل من يريد الحضور من الشركه لفرحتها بالحمل، حاول عادل أن يُظهر ضيقَه لأنها أرهقت نفسها، ولكنها أخبرته بأن زوجة

أخيها هي من حضَّرت كل شيء وشكرت الله على نعمة الأخت الصالحة، فقد أقسمت ألا تتركها حتى تطمئن على جنينها. استحسن عادل ذلك كثيرًا وشكرها؛ فقد حملت عن عاتقه الكثير من الفكر، ثم أنهى مكالمته وأخبر الأستاذ وشركاءه بدعوة الغداء فرحَّبوا بذلك جميعًا. انتهى العمل وتجمعوا عند عادل، وهناك دار النقاش حول روايته فقصَّ عليهم آخر ما كان يفكر فيه فاستحسنوا الفكرة جدًا، وهنا انبهر الأستاذ بما يسمع.

دعتهم جليلة للغداء وجلست معهم متوجسة من رأيهم فيما صنعت يدها، ولكنهم أحرجوها بكثرة ثنائهم على الطعام والذوق الراقي في التقديم، ثم أنهوا طعامهم وانتقلوا للجلوس في غرفة الصالون وأثناء استمتاعهم بشرب الشاي سألت جليلة عادل عن عدم تناوله للمستقبل في روايته، فانتبه الجميع متسائلًا عن أي مستقبل تتحدث؟ فقالت لهم: إن هناك علوم كثيرة لا يعرفون عنها شيئًا، وكذلك هناك أمور تدار في الكون لا يعرفون عنها العامة شيئًا.

هنا وضع الأستاذ الشاي من يده ليستمع لها ويبدي موافقته لرأيها جدًا، ثم قام بفتح حقيبته ليُخرج منها ورقتين كبيرتي الحجم مطويتين بعناية والجميع يتعجَّب لقِدم الورقتان ومدى حرص الأستاذ في الإمساك بهما، ووضع إحداهما على المنضدة وأمسك الثانية ليقوم بفضِّ طياتها الواحدة تلو الأخرى فأصبحت ذات حجم كبير رُسِمت عليها خريطة تشبه الأرض وقاراتها إلا أنها بها الكثير من المناطق غير المعلومة في الوقت الحالي

والجميع يتعجب من هذا الرسم ويتساءلون عن سبب رسم خريطة الأرض بوجود أراضٍ أخرى غير متعارف عليها في ذلك العصر؟ ولو أن هذا الرسم هو الرسم الحقيقي للأرض فأين اختفت تلك الأراضي؟ قام الأستاذ بسحب الورقة الثانية وقام بفضِّها لتظهر خريطة أخرى مقاربة لذات الخريطة الأولى مع وجود بعض الأراضي التي اختفت ثم أخرج خريطة حديثة مطابقة للوقت الحالي وبها عدد كبير من الأراضي التي اختفت تمامًا.

هنا قالت جليلة متسائلة عن معنى ذلك؟ فردَّ زكريا بأن هناك من يريدون لأنفسهم حق إداره هذا الكون فأخذوا على عاتقهم مسؤولية التخطيط لكيفية السيطرة على كل من يحيا فوق الأرض، وذلك ليس بجديد، فمنذ القدم وهناك دائمًا من يحاول أن يُخضع الإنسان لهيمنته وسطوته، تتعدد الحيل وتختلف، لكنها تظل متجددة، فهناك من قبِل بذلك ووقَّع العقود ووهب روحه باختياره الحر وإرادته المنفردة، وهناك من فضَّل أن يكون تابعًا لمن اتُبِع، حتى جاء العصر الحالي فأصبح الكثير تابعين دون تفكير والكثير أو باختيارهم، وغيرهم تابعون لكونهم في الأصل بلا شخصية أو فكر، لهذا كان القرار تحجيم العقل البشري، فأصبحنا نتعلم ما يفرضون علينا تعلُّمه ونقلِّد ما يصنعون دون تمييز أو تفكير. صمت زكريا للحظات فتساءل محمود عن كيفيه درء هذه المفاسد؟

كانت جليلة أول من قالت: أن نرد للأصل في حين نفكر، نسأل أنفسنا، هل فكرنا خالص لله، أم أن هناك شائبة تشوبه؟ فليس للأصل العين والإباحة،

لكن الأصل هو الحلال والحرام، فما أَصَّله الله مباح، وما حرَّمه سبحانه يُمنع بأمر الله وليس بأمر البشر.

قاطعها الأستاذ قائلًا: صدقتِ؛ فالأب يأمر ابنته بعدم لبس هذا أو ذاك خشية كلام الناس وليس خشية غضب الله، فنشأت الابنه على كيف تفعل ما تريد دون أن يراها الناس، فتتستر لحين الابتعاد عن سكنها ثم تنزع ما يسترها لتستعرض مفاتنها، فالعيب عيب أمام من يعرفها فقط، أمَّا من لا يعرفها فهذا انفتاح وتحضُّر، وعلى الشاب أن يغُض بصره وهذه حرية المرأة.

- هدم القيم والأخلاق وانحدار الذوق العام وهدم الأسرة، ذلك ما يخططون إليه، بل إنهم ينفِّذونه بحرفيَّة شديدة. هكذا قال عادل غاضبًا.

ولماذا لا تشير الى ذلك في روايتك؟ لماذا فقط تُسقط الحديث على الغابة؟ بُهت عادل من سؤال زكريا، ولكنه صمت، فردت عنه جليلة بأن الكاتب دائمًا ما يرى ما لا يراه الآخرون، فتظهر رؤيته بالكيفية التي يختارها لتوصيل المعلومة للقارئ.

تدخل محمود في الحديث معلنًا اعتراضه على فكرة عادل، فالكثير مثل محمود يقرؤون ولكنهم يتعثَّرون في فهم بعض ما يقرأون، فلذلك يبحثون عن الكلام المباشر حتى يسهل عليهم فهمه.

نعم محمود، وهذا أيضًا رأيي تمامًا، فحين كنا في السجن كان الكثيرون يعانون من عدم فهم ما يقرؤون، وكنت كثيرًا ما أجلس معهم لأشرح لهم

معاني ما يقرؤون، لهذا يجب أن نبسِّط قصدنا وكتاباتنا حتى تصل للجميع بلا تفرقة، وليس هناك ما يمنع أن نلقي ببعض الصفحات التي تؤكد على أن هناك كاتبًا جيدًا مثقف مطلع.

هنا وقف الأستاذ وكأنه تذكَّر شيئًا، ثم نظر إلى زكريا وقال:

-هل كنت تقصد بتحجيم العقول أننا بتغيير الخرائط أصبحنا محدودين أمام أعينهم فيسهل عليهم الوصول إلينا وتحجيمنا كما حجَّموا عقولنا فكريًا؟!

- نعم، هذا ما قصدت، وغدًا مع التطور سيسجن الإنسان داخل نفسه فينعزل عما يحدث حوله.

شرد عادل قليلًا فردَّ صوت مسموع يقول: أي أنهم لن يحتاجوا إلى أقفاص معدنية يسجنوننا فيها؟ سنختار حبسنا لأنفسنا بأنفسنا وسنتباعد اجتماعيًا، فقد يلتقي الأخوَان وكلٌّ منهما منشغل بأعماله وأفكاره ويفترقون دون أن يتذكر أحدهما أن يلقي التحية على الآخر.

وهذا ما يريدونه فعليًا، أن يكون هناك تباعد اجتماعي ليسهل عليهم السيطرة على البشر، فمبدأ الغابة ينفذ على البشر. "فرِّق تسُد" هكذا ختم زكريا الحديث مع الأصدقاء.

عاد زكريا للفيلا ليجد أميرته فوزيه تندفع مهرولة نحوه والنحيب يمنعها من الحديث، فصُعق مما رأى. حاول أن يُجلسها وجلس بجوارها يهدئ من روعها حتى هدأت واخذت تقص عليه ما كان من زوجها؛ فقد نهرها، بل

إنه أهانها واخذ في معايرتها بأن أخاها من "أرباب السوابق" وأنه قبِل بها شفقةً منه عليها. لم يسمع زكريا أكثر من ذلك، بل خرج هائمًا على وجهه ثم ذهب إلى محمود ليستشيره، فغضب محمود لما سمع ودخل إلى غرفته ليخرج منها مرتديًا جلبابًا وممسكًا بيده نبوت جدِّه، هذه العصا التي يرهب بها خصومه، ثم طلب من زكريا الذهاب للمنزل وترْكه يتصرف، ولكن زكريا رفض فذهبا سويًا لشركة وجدي، وبمجرد أن دخلا قام محمود بكسر إنذار الحريق فانطلق الصوت يدوِّي في الشركة، فأخذ الجميع يهرولون إلى الخارج عدا زكريا ومحمود؛ فهما يبحثان عن ذلك المدعو وجدي حتى وجده زكريا أمامه، فأمسك به من ملابسه ضاغطًا على رقبته حتى كادت تنخلع من مكانها.

محمود: من لا يصون نعم الله تزول النعمه مباشرة عنه، ونحن اليوم في مكتبك لننزع منك نعمة الزوجة الصالحة.

نظر وجدي حوله فلم يجد أحدًا، فحاول الحديث لكن محمود منعه عن ذلك، إلا أنه استطاع أن يستغل لحظة إدراك موظفي شركته أن هذا إنذار كاذب وعادوا لعملهم ليجدوا رئيسهم في ذلك الموقف، حاولوا التدخُّل، ولكن محمود وقف لهم بتلك العصا، فخشي جميعهم الاقتراب منها، ثم اقترب زكريا من أذن وجدي وقال له بصوت منخفض

زكريا: لن تكون زوجتك على ذمتك من الآن، وسوف أنتظر أن ترسل لي أوراق طلاق أختي منك غدًا.

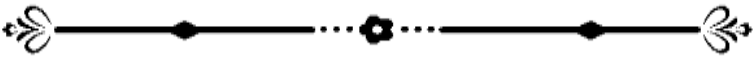

محمود: وإن حاولت التنصُّل سنعود، ولكن عودتنا ستكون للنهاية فلا تعجِّل بها.

صرخ وجدي في وجههما طالبًا منهما سماع ما حدث:

- أولًا فأختكما أهانتني، بل إنها طعنت في رجولتي لأنني لا أفوِّت يومًا إلَّا وأذهب إلى أمي أبرها ونتجاذب أطراف الحديث سويًا، فبدلًا من أن تفرح بأن لها رجلًا بارًا بأهله أخذت تكيل لي الاتهامات وتتهمني أنني لست برجل، وأن أمي هي من تفرض سيطرتها عليَّ، ويشهد الله على أن هذا لم يحدث، فما مرَّ يوم منذ زواجي إلا وأوصتني أمي عليها، فهل هذا جزاء حب أمي لها؟

أرخى زكريا قبضته عن رقبته، فأخذهما وجدي إلى مكتبه وطلب لهما القهوة، وبالداخل اعتذر عن ما قاله لها في حق زكريا، ولكنه حاول كثيرًا أن يكون ليِّنًا هيِّنًا معها، وكم من مرة أفهمها أن بِر الوالدين يجلب رضا الرب، وأنها يجب أن تعينه على ذلك، ولكنها دائمًا ما كانت تنهره وتطعن في رجولته.

سمعا نحيب محمود فتنبها له، كاد وجدي يسأل عن سبب بكائه ولكن زكريا أشار إليه بالصمت فلاذ به حتى هدأ واعتذر عن ذلك، فقد صعب عليه حاله، فلكم تمنى أن تكون له أمٌّ ركنٌ شديد يأوي إليه كلما تثاقلت عليه الحياة.

تأسف زكريا من وجدي، ولكن وجدي رفض أسفه بأدب، وأخبره بأنه كان سيفعل أكثر من ذلك لو أن أخته هي التي حدث معها ذلك، ولكنه طلب منه فقط أن يتبين أولًا قبل أن يصيب قومًا بجهالة.

استحسن زكريا قوله وطلب منه مهلة يصلح فيها ما أفسده، وخرج الصديقان من الشركة هذا عاد لمنزله وذلك عاد للفيلا، ورغم غيظه إلا أنه كظم الغيظ وذهب إلى أخته ليخبرها بأنه اعتدى على وجدي وجاءت الإسعاف لتحمله، وبذلك يكون قد نال جزاء جُرمه في حق الأميرة الغالية، شهقت أخته وأصابها الهلع ثم سقطت أرضًا، فجلس بجوارها حتى استفاقت وأخذت تسأل عما حدث لزوجها بلهفة، فرفض زكريا أن يخبرها بشيء، فقط قال لها ادعِي له أن يشفى مما أصابه. اقترب منها فازداد توترها، ثم أقسمت أمام أخيها أنها هي من أخطات، وأن وجدي ما كان ليقول ما قال إلا بعد أن ضاق منها ذرعا وأنها هي من دفعته إلى ذلك دفعًا.

رفعت رأسها لتنظر إلى زكريا فوجدته مبتسمًا، فسألته عن سبب ذلك فأخبرها بكامل ما حدث في شركة زوجها، ثم أفهمها أن ما فعلته خطأ لا يُغتفر، فهي كادت تتسبب في موت أحدهما والزج بالآخر في غياهب السجن.

عضت أنامل الندم وقامت للهاتف لتتصل بزوجها، ودون مقدمات أخذت تعتذر منه عما بدَر منها، ولكنه لم يجِبها بشيء، فشعرت بالحزن الشديد وأغلقت الهاتف وهي تبكي، ورغم ما في قلب زكريا إلا أنه رقَّ لحال أخته

وأخذ يحدِّثها ويطيِّب خاطرها، ثم طلب لها عصيرًا وجلسا سويًا، وفجأة وجدا وجدي أمامهما فقامت فزعة لتقفز بين يدي زوجها متعلقة برقبته تسأله الصفح، فأخبرها أنه نسي كل شيء وأنه جاء ليؤكد لها على حبه وصدقه، وأن حب الزوجة لا يقارن بحب الوالدين، فصدَّقت على كلماته، وهنا حاول زكريا أن ينسحب ليترك لهما المجال للعتاب، ولكن وجدي أمسك به ليخبره أنه أخوه هو أيضًا وليس أخًا لزوجته فقط، فتحاضنا وفرحت فوزية بعودة الوئام بينهما، ثم تأسفت لزوجها واخيها مما كان منها وطلبت أن يسامحاها.

خرج الزوجان سعيدان وجلس زكريا يفكر في أيامه مع نيرمين، ثم هبَّ واقفًا؛ لقد تذكَّر أنه مرَّ وقت بعيد لم يرَها فيه أو يسمع صوتها، والعجيب أنها لم تحاول التواصل معه! أمسك بالهاتف وأخذ يدير القرص طالبًا رقم منزلها، وبالفعل هي من أجابت على الهاتف، ليبادرها مباشرة ببث مكنون قلبه، ورغم دمعة عينيها لشعورها أنها لم تعد محور حياته كما كانت في الماضي، إلا أنها حاولت بقدر جهدها ألا تجعله يشعر بشيء مما يدور بخلدها، إلا أنه شعر بها، فاستأذنها لبضع ثوانٍ وترك السماعة وذهب لغرفة أخته جاسمين وطلب منها أن تأتي لتسلِّم على نيرمين وتشغلها لبعض الوقت، ثم عاد للهاتف وطلب من نيرمينته أن تسلم على أخته جاسمين ثم يكمل حديثهما بعد ذلك.

بدأ بينهما الحديث فترك زكريا الفيلا وخرج مهرولًا نحو السياره وقادها بتهور حتى وجد بائع زهور فابتاع منه باقة ورود غاية في الروعة وانطلق في طريقه مسرعًا حتى وصل إلى غايته أخيرًا، فطرق باب منزلها ليقدِّم لها باقه الورد، وقبل أن تستوعب ما يحدث كان هو في طريق عودته بسيارته إلى الفيلا، فوجد أن المكالمة ما زالت قائمة بينهما، فأمسك كريا الهاتف من أخته ليقول لنيرمينته إن هذا أقل اعتذار على ما بدر منه، فمهما كانت مشاغل الحياة لا يمكن أن نقصر في حق أحبابنا. تبدَّلت دموعها إلى ابتسامة مشرقة فشعر بها وانشرح قلبه لذلك.

.....

وضع عادل أمامه الأوراق والأقلام وجلس ينظر في اللا شيء، فقط تخيَّل ذلك القرد في الغابة وهو يتلقى التعليمات الجديدة، فقد انتهى دور الذئاب ويجب أن تتبدَّل الحال فتكون الضباع هي صاحبة الأرض وترحل الذئاب عنها، ورغم خفض القرد لرأسه إلا أن عينه قد لمعت بما يسمع وظهرت على فمه بسمةَ خبثٍ ودهاء، ثم قال: تلك الهياكل نستخدمها متى نشاء فيما نشاء لما نشاء. فانطلقت ضحكات من الصوت يُسمع صداها في أرجاء المعمورة، فينحني الجميع في أدب ثم ينطلق لينفِّذ مخطَّطه.

امتلأت تلك الأنفاق في باطن الأرض وزاد عدد الخراف كثيرًا، وكان المرياع دائمًا ما يحثهم على برْد أسنانهم وسنِّ أطراف حوافرهم وقرونهم.

زادت تلك الأنفاق والممرات في باطن الأرض، وزاد عدد الخراف كثيرًا، وكان القرد يجمع الجميع ويعلن عن اكتشاف هام قد يغير وجه التاريخ؛ فها هو هيكل الضبع قد وُجد على عمق أبعد كثيرًا عن هيكل الذئب، وكذلك هو أقدم كثيرًا، وبذلك تصبح الأرض بالفعل أرض الضباع وليست أرض الذئاب.

لغط كبير وهياج بين الجميع والأسد يتساءل عن السبب في ذلك التغيير، فنظر إليه القرد قائلًا: إن الضباع بها من الجُبن الكثير، ولو شعرت بالخطر لتركت الأرض ورحلت، أمَّا الذئاب فتحارب، والضباع تستوطن الأرض.

بُهت الأسد مما يسمع وشعر أنه كان ضمن المعبوث بهم ولا يعلم من تحديدًا الذي يعبث كل ذلك العبث ولصالح من. ابتعد القرد عن الأسد مفكِّرًا في لماذا الآن؟ ولماذا الضباع وليست الذئاب، فجمعيهم مفترسون؟ ولماذا نبدأ بالذئاب ثم نترك الأرض للضباع دون مبرر؟ هنا سمع الصوت من جديد: الذئاب لا تنصاع للأمر، بل تفعل ما تريد فقط، ولكن الضباع بها شيء من الخوف ويسهل السيطرة عليهم، فالقوة في الذئاب والمكر والخِسَّة في الضباع.

.....

جلس عادل مع زكريا في مكتبه ليقص عليه ما كان يدور بباله بالأمس، فهبَّ زكريا واقفًا مبهورًا بما يسمع، ثم أخذ يصفق مردداً: إن هناك من قالوا عن أنفسهم إنهم الجنس السامي والراقي فدخلوا للأرض خلصة وبلا حرب، وحين استقر لهم الأمر ظهر من نفس صنفهم الوجه الآخر، الوجه الخسيس، عادل، إن ما جاء في فكري هو ما قصدته أنت في حديثك عن الغيبة.

ولكن عادل رفض الإجابه المباشرة للسؤال، بل إنه ترك الحديث ضمنيًا لكل من يريد الفهم أن يفهم كيفما يتراءى له.

طلب الأستاذ الإذن بالدخول فسُمح له، وعندما وجدهما سويًا ابتسم لأنه يريد أن يعرض عليهما أمرًا يتعلق برواية عادل ونظرة زوجته جليلة إلى المستقبل، فنظرا لبعضهما البعض وضحكا لأنهما بالفعل يناقشان الرواية.

في المكتب الآخر استدعى محمود رباب ودار بينهما حديث يتخلله الكثير من الجد والقليل من الضحك.

في مكتب زكريا لا زال الحديث قائمًا بينهم؛ فالأستاذ يشرح لهما وجهة نظره في المستقبل وما يمكن أن يحدث بعد أن عرف أن الخرائط تتغير وتتبدل، وأن هناك من يحاول أن يصنع حدودًا للعقول وللمكان بل وللزمان أيضًا، وأن تلك الجدران الجليدية التي تحيط الأرض ومن جعلوا أنفسهم أوصياء على تلك المناطق دون غيرهم هم من سيتسببون يومًا ما في غرق الأرض ومن عليها، وسيكون طوفانًا يشبه طوفان سيدنا نوح عليه السلام،

وستنقسم الدول لقسمين؛ دول مستعدة لذلك، ودول غافلة، وسيموت الكثير من البشر ويبقى القليل.

قاطعهم رنين الهاتف فأجاب زكريا ثم سأل عن اسم المستشفى ثم يؤكد أنهم سيكونون هناك حالًا. ينتفض الجميع ومع خروج محمود من مكتبه يجدهم في عجلة من أمرهم فانطلق معهم دون سؤال والكل يفكر في ماذا حدث ومن في المستشفى؟

تأتي الممرضة لتزُف لهم البشرى؛ فمدام جليلة أنجبت ولدًا. عمَّت الفرحة الجميع؛ فهناك من سجد، وهناك من قبَّل يده، وهناك من تحاضنا. قرَّر عادل أن يسميه على اسم أخيه المهاجر منذ زمن "عمر" ليصبح اسمه عمر عادل.

ما أجمل الفرحة بعد الصبر! فدائمًا ما يكون العوض أجمل. هكذا حدَّث عادل نفسه وشكر الله على ما رزقه.

ذهب الأستاذ إلى الشركة الأخرى لتستقبله خطيبته السابقة وتشير إليه ليستريح حتى تبلغ المدير بحضوره، ولكنه قال بأنه جاء من أجلها، فأشاحت بوجهها عنه وكادت تغادر، ولكنه نطق اسمها أخيرًا: هديل. فوقفت.

فقال: إن العمر قصير وليس في الحياة الكثير من الأحباب، فلا يمكن أن نجد من يحبنا ونخسره. فأمس كان الغرور يملأني فأعمى عيني، فكيف بلا غفران بيننا نحيا؟ فأسالك بالله لا ترديني خائبًا. أعلم أنه لم يعد بداخلك مكان لمثلي، لكنني أرجو فرصة لعلِّي أكفِّر عن ذنبي.

حضر السيد رئيس مجلس الإداره ليقول لها: إن الأستاذه الآن مولود جديد بقلب نقي، فلا تردِّيه خائبًا.

تبسمت هديل، وقرر رئيسها تحمُّل كافة تكاليف الفرح.

عادالأستاذ مسرعًا للشركة يزف لهم البشرى، ليجد محمود مع عادل وزكريا والجميع فرحون ويباركون، فيتعجب كيف عرفوا؟ ولكنهم أوضحوا له أن محمود سيتزوج من رباب، فردَّ بأن هديل أيضًا قبلت الزواج منه، فينفجرون ضحكًا ووسط كل هذا الفرح يخبرهم زكريا بقرب زفافه أيضا ليزيد ضحكهم، ولكن عادل يقف صارخًا:

- لا!

مما جعلهم يتعجبون من ردة الفعل فيقول: إنكم ستتركون لي كل هذا العمل وحده وتتزوجون جميعًا.

فقال الأستاذ: فكرة جيدة، ليكُن فرحنا واحدًا.

قطع عادل المكتب ذهابًا وإيابًا وهو يقول: لا لا، الشركة، الوزارة، المشاريع، الشركة الأخرى، جليلة، البيت، تشريف الأستاذ عمر.. لا، لن أتحمَّل كل ذلك وحدي. والجميع يضحكون من طريقته الفكاهية.

في منزله يجلس عادل ويحمل بين يديه وريثه عمر ويقص عليه أحداث الرواية، بل إنه يقص عليه ما أورده الأستاذ شقنقيري في حديثه عن المستقبل، وأخذ يزيد عليه بأن يتخيل ماذا بعد الإغراق ومرور السفينة الكبرى؟ وكأنها هي من تحمل الكون في باطنها، والقليل من المراكب

الصغرى التي تتودد للكبرى لتنال طعامها وكساءها، وهناك على سطح الكبرى يجلس في ملابسه العسكرية القائد العسكري، ويجلس أمامه الرُّبَان، ويبدو أنهما منهمكان في لعبة الشطرنج التي أمامهما، ومركب صغير تمر من تحت سفينتهم تحمل المرياع وكذلك القرد، فيلومه على تركِهم للذئاب لتبيدهم، فيتنصَّل القرد مما حدث معلِّلًا: إن هناك أمورًا يطول شرحها ولا أظنك ستستوعب ما يقال لك.

يمر الضبع بمركب آخر فينظر للخروف ليلومه بأنهم كانوا سيكونون رحماء بكم عن تلك الذئاب.

أيُستبدل المفترس بمفترس آخر ثم تتحدثون عن الرحمة؟ هكذا نطق الخروف فلمعت عين القرد فوق السفينة الكبرى، ويقف الريان لينبِّه القائد العسكري بأنه يحرك القطع بلا وعي.

هنا تذكر عادل قول زكريا قديمًا قبل أن يُسجن حين أسدى له النصيحة قائلًا: لا تنظر إلى قطعة فقط، بل يجب أن تكون متيقظًا لما يعده لك المنافس".

ثم أشعل القائد غليونه متسائلًا: وما الضرر إن تحركت القطع بلا وعي؟

فجاء الرد من عادل بأنه سيُهزم لا محالة؛ فالمعارك دائمًا ما يلزمها كرٌّ وفَر.

.....

دخلت جليلة ببطء جليلة لتستمع لما يحدث، فتعلو وجهها الدهشة؛ فعمر يستمع لوالده ولا يقطع حديثه بالبكاء، وسمعت عادل وهو يكمل حديثه بأن الشطرنج لعبة ولكنها تحاكي الواقع.

جليلة: أظن أن الحياة تشبه تلك الرقعة الشطرنجية، والبشر وغيرهم هم القطع منهم الأبيض وكذلك الأسود وبينهما صراع، ولكل شيء قانون؛ ففي الغابة البقاء للأقوى، وهناك عند السفن الكبرى البقاء للأذكى. وهنا، فالبقاء لمن يقدر على التقرُّب للأقوى والتودُّد للأذكى، أو البقاء لمن يملك ما يمكنه به السيطرة على الأقوى وكذلك الأذكى.

ولماذا قوة؟ ولماذا ذكاء؟ ولماذا يحكم الأرض قانون البقاء والجميع يحيا تحت مظلة قانون العناء ؟ أين العدل، الحق، والخير؟ لماذا لا يعم السلام؟

ضحكت جليلة متسائلة، وحين تنعم الأرض بالسلام كيف يحيون هم؟

ماذا تقصدين؟

هناك من أقسم أنه سيغوي الجميع، حُرِّم عليه الصالحون، فكان الصالحون هم القلة وانجرف خلفه أكثر الناس، فلن تنعم الأرض بالرخاء طالما يتبعون خطواته، بل أكاد أقسم بأن هناك منهم من تفوَّق عليه في الشر فلا يحتاجون لمن يوسوس لهم.

في الصباح، كان الشركاء في الشركة كلٌّ يجِد في عمله، وبانتهاء اليوم اتخذ زكريا قرارًا هامًا بأن يوكل للشركة الأخرى حق إدارة المشروع بالكامل لحين العودة من إجازة الزواج، ونظرا لضيق الأماكن العامة فقد تقرَّر أن

يكون زواج محمود ورباب، والأستاذ وهديل، وزواجه من نيرمين الخميس بعد القادم في الفيلا، والجميع مدعو لمشاركتهم الأفراح.
مرَّ الوقت سريعًا وترتيبات الزواج على قدم وساق، حتى جاء موعد الحفل، فتوافد الحضور من كل صوب وحدب، واكتظت الفيلا بالحضور، واتخذ كل عروسين مجلسهما، وصدح من يغني وأطرب الحضور حتى أن بعضهم كان يتمايل مع الغناء من شدة الطرب.

حضر للعرس شاب بملابس إفرنجية وأخذ يمر بين الحضور كمن يبحث عن أحد حتى وجد ضالته في عادل، فانطلق نحوه محتضنًا إياه، فصرخ عادل باسمه من شدة المفاجأة.. لقد كان عمر.
سكت المطرب وتوقف العزف وأصبح الجميع ينظر في تعجب لذلك الشاب الذي يصعد ليحتضن زكريا وطال عناقهما وكأنهما يعوِّضان سويًا سنوات من الهجرة، وجاءت فوزية لتسلم على ابن عمتها وكذلك جاسمين، وتعرَّف على زوج فوزية وسأل عن زوج جاسمين، فأخبرته بأنها لم تتزوج بعد، لتظهر ابتسامة على وجهه.
رغم كل ما يحدث، ورغم عودة الغائب، إلا أن عادل اختلى بنفسه وأخرج مفكِّرته وقلمه ليكتب..

وصدح المطرب بأغنية وطنية
أخي، قم إلى قبلة المشرِقيْن

تُفتح من أرض الغابة بأكملها بوابات الأنفاق والممرات وينسلُّ منها الخراف.

لنحمي الكنيسة والمسجدا

الضباع تحاول الهجوم على الذئاب، والذئاب تدافع عن أرضها بضراوة، لتفاجَأ بهجوم الخراف من كل جانب، فالذئاب لا تأمن مكر الضباع، والضباع تهاب الذئاب، والخراف يطعنون في الجميع.

طالعنا عليهم طلوع المنون فطاروا هباءً وصاروا سدًى

المرياع يلتقي أخيرًا بذلك الخروف الخائن خادم الذئاب مقابل الطعام، وتأتي من خلفه النعجة الطريدة وعدد من الخراف يحيطون به، أخذ الخائن يلتفت عن يمينه وعن يساره لعله يجد من ينقذه، فلم يجد، فشعر بدنوِّ أجلِه، فجهر بالصوت بأنه ليس هو الخائن، فلتسألوا المرياع كيف أصبح مرياعًا وقائدًا لذلك القطيع، ممن رضع؟ ومن كان يتبع؟

بُهِت المرياع وشعر أن الجميع ينظر إليه كأنه متهم في ساحة المحكمة، فقرر الدفاع عن نفسه قائلًا: إنهم أسروني صغيرًا وأرضعوني من ضرع حمارة حتى ظننت أنها أمي، وحين كبرت كنت أتبع أمي كلما تحركتْ، ثم أعادوني للقطيع، ونظرًا لضخامتي كنت أنا القائد، وحين أسير كان القطيع يسير خلفي، وأنا لا أسير إلا في ظل أمي التي أرضعتني.

بعض الخراف أصبح عندهم شك في قائدهم، والبعض ظن أن ما هم فيه اليوم خدعة قام بها كبيرهم ليقدمهم للذئاب كفرائس، ولكن المرياع صرخ فيهم:

- أنتم من تشكون فيَّ وتصدقون من خانكم؟

ليرد عليه الخائن: إنه من اعترف أنه تربيتهم، بل هم من صنعوه ليكون وسطنا.

انقسم الخراف، ولكن النعجة ذكَّرتهم بأن لولا المرياع لما أصبح هناك اليوم خراف تحارب من أجل الأرض، ثم انطلقت نحو الخائن وقامت بضربه برأسها في جسده فسقط أرضًا، وحين حاول النهوض انطلق خروفان ليضعا قرونهما فى أحشائه كلٌّ من اتجاه عكس الآخر حتى بقرَا بطنه تمامًا، وانطلقوا جميعًا للمشاركة في حرب استرداد الأرض.

أخي إن جرى في ثراها دمي
وأطبقتُ فوق حصاها اليدا

القرد يقف وحيدا يرتعد مما يرى؛ فما خطط له لم يكن كذلك، فلم يكن في الحسبان عودة الخراف بكل هذه الشراسة والقوة فجاءه الصوت يدوِّي ليرميه بالفشل، فيدخل لمكان القرد دبٌّ ضخم ليهجم عليه ويمزِّقه إربًا، ويكمل الصوت تعليماته للدب، فينطلق الدب نحو الذئاب لعله يساعدهم في صدِّ هجوم الخراف، ولكنه لم يستطع، ففر من أرض المعركة لتفر خلفه الضباع، وتشتد الحرب بين الخراف والذئاب حتى كادت الذئاب تُباد عن بكرة أبيهم.

يقف الجميع ليهنئوا الأزواج جميعًا والجميع يتحاضن.

تفر الذئاب الباقية من أرض المعركة، والخراف تتحاضن فرِحَةً.

يتقدم المرياع نحو الطريدة ويطلب منها أن تشاركه باقي حياته، ويتقدم عمر نحو جاسمين ويطلب أن تشاركه باقي حياته.

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع